وليم شكسبير

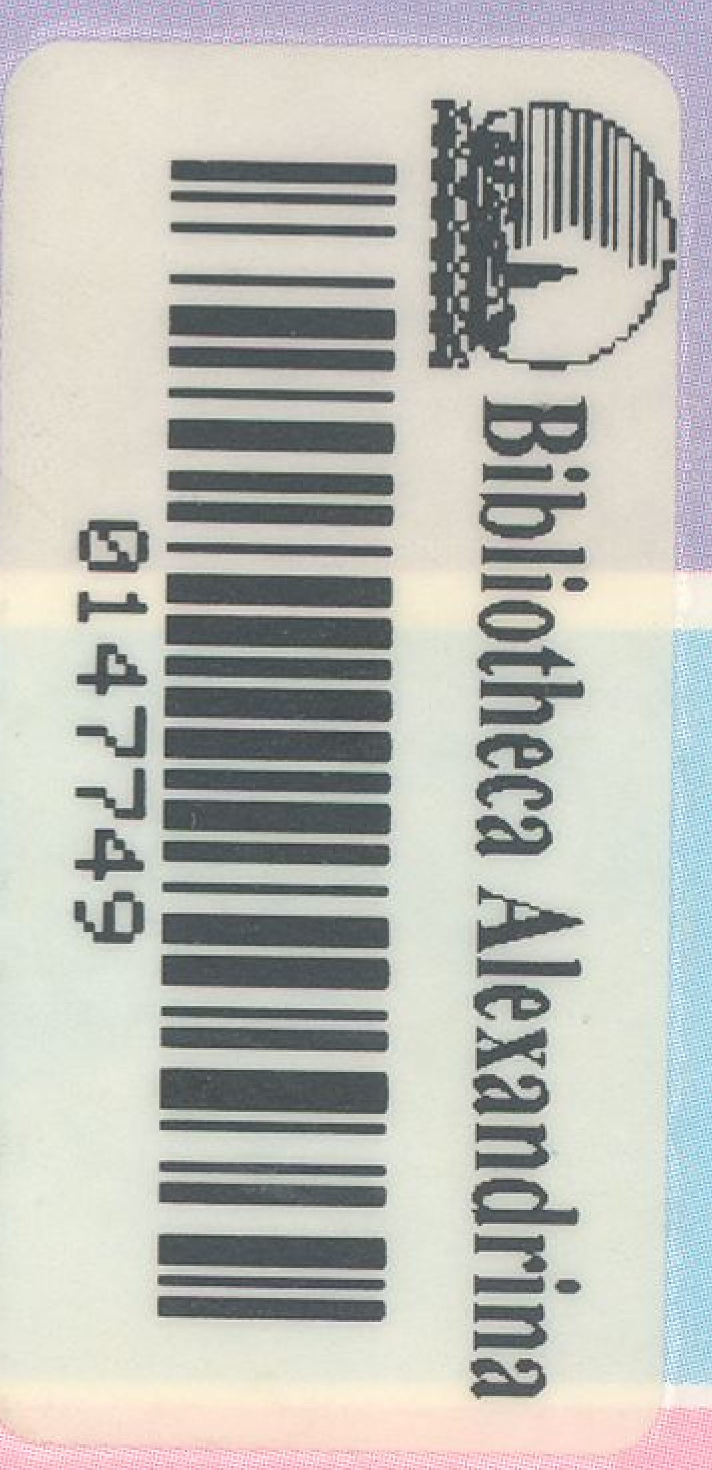
واحدة بواحدة

تعريب

أ. ر. مشاطي

إشراف

نظير عبود



دار

نظير عبود

واحدة بواحدة

وليم شكسبير

واحدة بواحدة

تعريب
آ . ر . مشاطي

إشراف
نظير عبود

دار
نظير عبود

طبعة ١٩٩٠

ص.ب : ١١/٨٠٨٦ تلفون : ٩٣٦٧٧٢ ـ ٩٣٤٧١٤

أشخاص المسرحية

فنسنتو : دوق فينـّا
أنجلو : نائب الدوق أثناء غيابه عن الحكم
أسكالوس : مولى عجوز ، زميل أنجلو في المنصب
كلوديو : وجيه شاب
لوسيو : شخص غريب الأطوار
وجيهان آخران
ضابط الشرطة
توماس } راهبان
بطرس }
كود : شرطي مغفـّل
المعلم رغوة : غني أبله
بومي : خادم السيدة المرهقة
ابو رسون : جلاد

برنردان : سجين منحطّ الأخلاق

ايزابيل : اخت كلوديو

مريان : خطيبة أنجلو

جوليت : حبيبة كلوديو

فرنسيسكا: راهبة

السيدة المرهقة : قوّادة

سادة ، ووجهاء ، وحرس ، وخدم

تجري الأحداث في فينّا

الفصل الاول

المشهد الأول

في قصر الدوق

يدخل الدوق واسكالوس وسادة وخدم

الدوق – يا أسكالوس .

اسكالوس – نعم يا مولاي .

الدوق – ان شرحي كل قوانين الحكم يتطلب من قبلي أن أبسّط لك جملاً وخطباً ، وأنا أدري جيداً ان معارفك الخاصة في هذا الموضوع تفوق ما تتناوله خبرتي من معلومات يسعني أن

أزوّدك بهـــا ، وإني لا أحتاج إلا إلى إضافة سلطتي إلى مقدرتك ، لأدعـك تتصرف بحكمتك . ان طبيعة شعوبنا ومؤسسات مدينتنا ونصوص قوانيننا المنظمة ليست غريبة عن معظم رجال الشرع المتضلعين من النظريات والتطبيقات التي نعتمدها . هذه هي مهمتك (يسلمه ورقة) أتمنى أن لا تتخلى عنها. (لرجال حاشيته) هيا أرسلوا في طلب أنجلو واستعجلوه في الحضور إليّ . (يخرج أحد الخدم لأسكالوس) كيف تظنه سيتصرف عندما يحل محلي ؟ عليك أن تعلم إني بوحي خاص ، قد اخترته ليقوم مقامي أثناء غيابي . ولقد شملته بحمايتي وأغدقت عليه محبتي وزوّدته بجميع وظائفي وسلطاتي . فما رأيك بذلك ؟

اسكالوس – إذا كان في فينّـا رجل يستحق تلقي إنعامك وشرف عظيم كهذا فهو السيد أنجلو .

(يدخل أنجلو)

الدوق – ها هو قد أقبل .

أنجلو – دائما طوع بنانـــك يا صاحب السيادة ، جئت لأستطلع رغباتك السنيّـة .

الدوق – يا أنجلو . ان لوجودك معي بعض الميزات في الملاحظة التي

تنبئني بنمط حياتـــك . ان شخصيتك وصفاتك ليست ملكك الخاص بمقدار ما يسعك أن تبذل من جهودك ضمن نطاق فضائلك، ومن فضائلك ضمن نطاق درايتك. فالسماء تعمل في داخلنا كما نفعل نحن بالمشاعل التي لا نضيئها لأجل ذاتها بـل لمنفعتها . كذلك إذا لم تشع مزايانا خارج كياننا فالأفضل أن لا نتحلى بها . لأن الأذهان لا تقدّر الجمـال إلا لتعطي الجال، والطبيعة لا تأبه أبداً للنشوة بكمالاتها بدون أن تتطلب هي ذاتها هـــذه الكمالات ، كأنها إلهة مرابية تستثمر جميع حسنات دائنها وتشكّـراته فوق فوائـده . وأنا الآن أوجّـه حديثي إلى رجل قادر على الحلول محلي . فيا أنجلو كن أثناء غيابي نظيري تماماً . وفي فينّـا ، لينطلق العقاب والرفق من عقلك وقلبـــك . وإن أنا عيّـنت أسكالوس قبلك فمقامه يـــأتي بعدك . فاستلم مهمتك (يسلمه ورقة) .

أنجلو – انتظر يا سيدي الكريم ، حـتى تجرّب معدني وتصنع منه إنساناً هكذا نبيلاً وجليلاً .

الدوق – لا أريـد اعتذاراً . لأني فكرت ملياً في اختياري واشبعته درساً قبل أن ألجا إليك . فاقبل إذاً هـــذا المنصب . لأن

استعجالي في الذهاب لا يمهلني ، ولا مجال للتأخر في تقرير أمر بهذه الأهمية . سأكتب إليك عندما تدعو حاجة مصلحتي وظروفي ، وآمل أن تعلمني بكل ما يجري لك هنا ، فالوداع . أنا أتركك تنفذ جميع ما تقتضيه واجبات وظيفتك بحرية تامة .

انجلو – على الأقل يا مولاي اسمح لي بأن أرافقك في جزء من الطريق .

الدوق – أقسم لك بشرفي ان ظروفي لا تتيح ذلك . فلا يقلق لك بال . لا تنسَ ان حريتك في العمل واسعة نظير حريتي . فبإمكانك أن تتشدّد أو تتساهل في تطبيق القوانين حسب ما يوحي إليك به ضميرك الحي . هات يدك لأصافحها . إني أريد أن أنسحب سرّاً . فأنا أحبُّ الناس ، إنما لا يعجبني أن يستعرضوني بعيونهم ، ولا أميل إلى هتافاتهم وتصفيقهم الصاخب مهما كان مرضياً ، ولا أعتبر من الحكمة أن يبحث المرء عنها وداعاً .

انجلو – حماك الله وسدّد خطاك .

اسكالوس – ليحرسك أنت أيضاً ، ويمنّ عليك بالسعادة الكاملة .

الدوق – شكراً لكما . الوداع

(يخرج)

اسكالوس – (لأنجلو) أرجو منك يا سيدي أن تسمح لي بالتحدث إليك قليلاً . إذ يهمني أن أتفهم واجباتي جيداً . فلي سلطة ، ولكن ما هو مداها ، وما هي طبيعتها ؟ لأني لم أتمكن بعد من حصرها .

انجلو – هذا هو حالي أنا أيضاً . فلننسحب معاً ، وسيتسنى لنا إدراك هذه النقاط قريباً .

اسكالوس – أنا طوع بنانك ، يا صاحب السعادة .

(يخرجان)

المشهد الثاني

في احدى الساحات

يدخل لوسيو ومعه وجيهان

لوسيو – إذا كان الدوق كسائر زملائه لم يتفاهم مع عاهل هنغاريا فسيهاجمون الملك بأجمعهم .

الوجيه الأول – شملنا الله بسلامه ، لا بسلام ملك هنغاريا .

الوجيه الثاني – آمين .

لوسيو – أنت تفكر مثل ذاك القرصان المترمّت الذي ركب البحر مزوّداً بالوصايا العشر بعد أن شطب إحداها من اللوحة .

الوجيه الثاني – القائلة : لا تسرق .

لوسيو – أجل ، هذه هي الوصية التي ألغاها .

الوجيه الأول – بالفعل ، هذه الوصية هي التي تأمر الربّان وجميع رجاله بالتخلي عن مهمتهم لأنهم أقلعوا بقصد النهب والسلب . ليس بين جنودنا فرد يصلي قبل الأكل ويقبل بالفقرة التي تلتمس أن يخيم السلام على الجميع .

الوجيه الثاني – لم أسمع أبداً في حياتي جندياً يرفض السلام .

لوسيو – أنا أصدّقك ، لأني أعتقد بانك لم تكن يوماً حيث تلتمس النِعَم .

الوجيه الثاني – على الأقل ، ذهبت عشر مرّات .

الوجيه الأول – في أية ظروف .

لوسيو – لا تهمّ المناسبة ولا اللغة .

الوجيه الأول – حتى ولا الديانة أيضاً .

لوسيو – لماذا لا؟فالنعمة تظل نعمة رغم كل المناقشات والاعتبارات.

فمثلاً أنت خشن الطباع ، وتظلُّ مشاكساً مهما تلقّيت من النعم .

الوجيه الأول– وان يكن الأمر كما تقول، فالفرق بيننا يكمن في التفاصيل.

لوسيو – تماماً كما هو الفرق بين المخمل والحاشية . وأنت لست سوى حاشية .

الوجيه الأول– وأنت المخمل . أجل أنت مخمل ممتاز بثلاث وبرات . أؤكد لك إني من جهتي أفضّل أن أكون حاشية قماش صرج انكليزي على أن أكون مخملاً مجزوزاً نظيرك على الطريقة الفرنسية . وأنا أتكلم عن خبرة كما لا يخفاك .

لوسيو – أصدقك ، وأعتقد أن الزمان كان قاسياً عليك . وها هو إقرارك يشير إلى أن الأفضل لك أن تعرض صحتك على طبيب . أؤكد لك أنني سامتنع ، ما حييت ، عن الشرب من كاسك .

الوجيه الأول– يخيّل إليَّ إني أخطأت بحق نفسي . أليس كذلك ؟

الوجيه الثاني – نعم بدون شك ، إن غاظك الأمر أو لا .

لوسيو – (يلمح السيدة المرهقة) : ها هي السيدة المسايرة قد أتت .

الوجيه الأول– تحت سقفها ، اشتريت أمراضا كلفتني باهظاً .

الوجيه الثاني – أرجو منك أن تقول لي كم كلفتك ؟

لوسيو – إحزر .

الوجيه الثاني – ثلاثة آلاف دولار ، أريد أن أقول ثلاثة آلاف دولار في السنة .

الوجيه الأول – وأكثر من ذلك .

لوسيو – نعم ، وفوق ذلك بعض العلل .

الوجيه الثاني – للوسيو : أنت تتصوّر دائماً إني مريض ، لكنك مخطىء جداً لأني متين البنية .

لوسيو – نعم ، ولكن لا أحد يؤكد أنك صحيح البدن . أنت صلب كالأشياء المجوّفة ، وعظامك كالفخار سريعة العطب ، لأن النجاسة تسري في أوصالك .

(تدخل السيدة المرهقة)

الوجيه الأول – كيف حالك ؟ أي جانب من الورك فيك مصاب أكثر بداء عرق النسا ؟

السيدة المرهقة – حسناً ، حسناً . ها قد أقتيد إلى السجن رجل يساوي خمسة آلاف من أمثالكم جميعاً .

الوجيه الثاني – أرجو منك أن تقولي لي من هو .

السيدة المرهقة – لعمري ، يا سيدي ، هو كلوديو ، أريد أن أقول السيد كلوديو .

كلوديو .

الوجيه الأول – كلوديو في السجن ؟ هذا لا يُصدَّق .

السيدة المرهقة – أنا أعلم جيداً أن الأمر قدْ تمَّ ، وشاهدته موقوفاً ومساقاً . علاوة على ذلك ، سيقطع رأسه بعد ثلاثة أيام .

لوسيو – بعد كل هذه الثرثرة ، أكاد لا أصدّق ما تقولين . هل أنت واثقة من صحة هذا النبأ ؟

السيدة المرهقة – أجل أنا واثقة كل الثقة، لأنه دنّس شرف السيدة جوليت.

لوسيو – (للوجيهين) : صدّقاني، المسألة ممكنة . لقد وعدني بموافاتي، من ساعتين ، وكان دائماً دقيقاً في المحافظة على مواعيده .

الوجيه الثاني – من جهة أخرى ، أنت تعلم أن ذلك مطابق لما كنا نتحدث عنه منذ هنيهة .

الوجيه الأول – هذا يطابق بنوع خاص ما يُعلَن عنه .

لوسيو – هيا نذهب ونستفهم عن الحقيقة .

(يخرج لوسيو بصحبة الوجيهين)

السيدة المرهقة – هكذا بسبب الحرب والمرض والبؤس أراني بدون عمل .

(يدخل بومبي)

ما وراءك من الأخبار ؟

بومبي – هناك رجل يُقاد إلى السجن .

السيدة المرهقة – وماذا فعل ؟

بومي – اعتدى على امرأة .

السيدة المرهقة – ما هو جرمه ؟

بومي – لقد أخطأ ... اصطاد سمكة في نهر خاص .

السيدة المرهقة – ماذا تقول ؟ هل اغتصب فتاة ؟

بومي – نعم جعل من الفتاة امرأة . أو لم تسمعي المنادي ؟

السيدة المرهقة – أي منادٍ ، يا عزيزي ؟

بومي – المنادي الذي أعلن بأن جميع البيوت في ضواحي فينّا ستهدم .

السيدة المرهقة – وماذا يحل ببيوت المدينة ؟

بومي – ستظل قائمة . ولو لم يشفع بها رجل قدير حكيم ، لكانت هدمت هي أيضاً .

السيدة المرهقة – كيف تُهدم كل بيوتنا المجمّعة في الضواحي ؟

بومي – ستُدكّ إلى الأرض ، يا معلمتي .

السيدة المرهقة – هذا ، وربي ، انقلاب في الأمور العامة . ماذا سيحلّ بي ؟

بومي – هيا لا تقلقي . إعلمي ان النصائح المفيدة لا تجلب الزبائن . ومهما غيّرت اقامتك ، لست مضطرة لاستبدال مهنتك . ساظل على الدوام أجيرك اليقظ ، فتشجعي واشفقي على

حالك، وإلا خسرت عينيك بغير داعٍ اضطراري، ولا بدّ من النظر لترى الأشياء بعين الواقع .

السيدة المرهقة – ماذا يمكننا أن نفعل هنا ، يا صاحبي ؟ هيا بنا نذهب .

بومي – ها هوذا السيد كلوديو يقوده ضابط الشرطة إلى السجن . وها هيذا جولييت .

(يخرجان)

(يدخل ضابط الشرطة و كلوديو وجولييت ورجال الشرطة ثم لوسيو والوجيهان) .

كلوديو – (لضابط الشرطة) يا صديقي ، لماذا تعرّضني هكذا لأنظار الناس ؟ خذني إلى السجن حيث ستحتجزني .

ضابط الشرطة – إذا تصرفت هكذا ، فليس عن سوء نية ، بل لتلبية طلب خاص أرسله لي السيد أنجلو .

كلوديو – هكذا تدفعني السلطة ، وهي نصف إله ، ثمن زلّتي على هواها . هي خنجر القانون الذي يطعن من يشاء ويقي من الطعن من يشاء . ما همّ ، فهذا ، حسب العرف ، يسمّى عدالة .

لوسيو – (يتقدم) ما بك يا كلوديو ؟ لماذا أنت خائف هكذا ؟

كلوديو – بسبب الحرية الزائدة ، يا عزيزي لوسيو . أجل بسبب

الحرية الزائدة . فكما ان عسر الهضم يقتضي الصوم ، هكذا التمادي في المجون بـدون رادع يفضي إلى العبودية . لأن غرائزنا كالجرذان التي تتهافت على السموم ، تواصل الأذى المتفاعل فيها ، وتظلّ تستزيد منها حتى تموت .

لوسيو — لو كنت واثقـاً عند توقيفي من التكلم هكذا بحكمة لكنت بحثت عن بعض الدائنين لأستلف شيئاً من المال ، مع ذلك ، الحق أقول ، أنا أفضّـل أن أثرثر بحرية ، خارج السجن ، على أن أتحدث برصانة في داخله . ماذا يغيظك يا كلوديو؟

كلوديو — مجرد الكلام ، اعتبره إهانة جديدة لا تغتفر .

لوسيو — ماذا تعني ؟ هل هناك جريمة قتل ؟

كلوديو — كلا .

لوسيو — أم جناية دعارة .

كلوديو — سمّـها هكذا ، إن شئت .

ضابط الشرطة — (لكلوديو) سِرْ ، يا سيدي ، علينا أن نمضي.

كلوديو — (لضابط الشرطة) كلمة واحدة فقط، يا صاح ، كلمة واحدة يا لوسيو (يأخذ لوسيو جانباً) .

لوسيو — قل مئة كلمة إذا أمكنك أن تستفيد منها . هـل هكذا لا تكفّ عن الفسق ؟

كلوديو – هـذا هو وضعي . فإني بموجب عقد قانوني تسلّلت إلى سرير جولييت التي تعرفها، وهي الآن زوجتي بكل معنى الكلمة، ولم يبقَ لاكتمال قراننا إلا معاملات الزفاف العلني. وإن لم أصل بها بعد إلى الخاتمـة ، فلكي أحصل على البائنة المحتجزة في خزانة أهلهـا الذين رأينا من الأنسب أن نخفي عنهم هيامنا إلى أن يرضوا مع الوقت بما نرغب فيه . لكن مصير علاقتي الحميمة مكتوب بحروف كبيرة على جبين جولييت .

لوسيو – هل تعني ان هناك طفلاً ؟

كلوديو – أجل، مع الأسف . والآن، نائب الدوق الجديد...لا أدري إن كانت بهرجة سلطته الحديثة العهـد تبهره وتعميه ، أو إن كان يرى في جهاز الدولة حصان سباق ، فما كاد يعتليه حتى همزه بشدة حتى يشعر بأنـــه أصبح فارسه . فهل الطغيان كامن في المنصب أم في صاحب السعادة الذي يشغله؟ أراني ضائعاً في هـذا الموضوع . أنا ألاحظ أن الحكم الجديد ينوي نبْش جميـــع القوانين الجزائية وتحريك الدروع المصدّية المعلقـة على الجدران منذ زمن بعيد ، لأن عشرين برجاً قد دارت في الفلك بدون أن تستعمل هذه الدروع .

ولكي يلهج الناس بذكره ، هـا هوذا يقصد إيقاظ الشرع النائم المهجور ، طبعاً لكي يشيد بـــه الأهلون ويلهجون بالثناء على شخصه الكريم .

لوسيو – أؤكد لك ، ورأسك منتصب فوق كتفيك باعتزاز ، ان بائعة حليب عاشقة تستميله بتنهدة واحـدة . فأرسل في طلب الدوق واستأنف دعواك لديه .

كلوديو – هذا ما فعلته ، لكني لم أعثر عليه . فأرجو منك ، يا لوسيو أن تؤدي لي هـــذه الخدمة . اليوم ستدخل اختي الدير ، وتبـــدأ تجربتها لتُقبل أو تُرفض . فاسألك أن تعلمها بخطورة موقفي . توسل إليها باسمي كي تلتمس من بعض الأصدقاء المقربين للتوسط لدى نائب الدوق الحـاكم الآن ، وقل لهـــا أن تضغط عليه بإلحاح ، وأنا وطيد الثقة بأن نضارة شبابها لغة صامتة بليغة تحرّك مشاعر الرجال . من جهة أخرى، لديها فنّ لا يستهان به عندما ترغب في تسخير منطقها و كلامها للاستمالة والاقناع.

لوسيو – أدعو الله كي تنجح في مسعاها لتأمين مرادك ، وإلا ظللت تحت رحمة عقاب صارم بدون أن تبلغ شاطىء الأمان الذي يزعجني أن تبعدك عنه رمية زهر لعب غـير موفقة . أنا

ذاهب لأراها .

كلوديو – أشكرك يا صديقي لوسيو .

لوسيو – لن يتم ذلك قبل ساعتين .

كلوديو – هيا أيها الضابط ، إلى الأمام سرْ .

(يخرجان)

المشهد الثالث

في أحد الأديرة

يدخل الدوق والأخ توماس

الدوق – كلا، يا أبتِ الجليل. أطرد عنك هذه الفكرة ، ولا تصدق أن الحب الهزيل يسعه أن يخترق القلب المحصّن . إذا طلبت منك أن تدلني على ملجأ سرّي،فلغاية أخطر واعقد من خطط ومشاريع يرسمها الشباب الملتهب حماساً ؟

الأخ توماس – هل لسعادتك أن تشرح لي مبتغاك ؟

الدوق – أيها الرجل النبيل ، لا أحد يعرف أكثر منك إني طوال

عمري أحببت حياة العزلة ، ولم أحفــل بالاجتماعات التي يسيطر عليها المرح والترف والتحدي الطائش . ولقــد أوكلت إلى السيد أنجلو ، الرجل الحازم الذي لا يلين ، أمر سلطتي المطلقـة ونفوذ مقامي الرفيع في فينـا ، وهو يظن انني مسافر إلى بولونيا كما روّجت الخبر أمام العموم ، وقد صدقه الجميع في كل مكان . والآن يا سيدي المفضال ، هـل تريد أن تعلم لماذا تصرفت هكذا ؟

الأخ توماس – طبعاً ، يا مولاي .

الدوق – لدينا قوانين صارمة وشرائع قاسية تضع حــداً لجميع المغامرات الجامحة التي وقفت أنا سداً منيعاً في وجه انتشارها زهاء أربعة عشر عاماً ، وقـد حبست نفسي في مقري لا أخرج منه حتى إلى الصيد . وكما تـدرك جيداً ، ان الأب المتساهل الرؤوف الذي يربط حزمـــة القضبان ويكتفي بعرضها أمـــام أعين أولاده ، كخيال في صحراء بدون حراك ، يرى ان هـذه القضبان لا تلبث أن تمسي موضوع تندّر أكثر ممـــا تكون أداة تاديب . هكذا أعتبر أنا ان الشرائع الليّـنة لدى تطبيقها تظل كأنها ميتة بدون مفعول. فالاستهتار يستخف بالقوانين والرضيع يلطم مربيته، وعلى

اللياقة والوقار الف سلام وسلام .

الأخ توماس – عليك إذاً يا صاحب السيادة أن تفكّ قيود هـذه العدالة المكبّـلة ، حالما تتيح الظروف ، وهـذا يتم على يدك أفضل بكثير مما إذا تولى هذه المهمة السيد انجلو .

الدوق – أخشى أن يكون لهـذا الحل محاذير عديدة . لقد أخطأت في طريقة إثبات مثل هذه النوايا الصادقة للشعب ، فصدر عني بعض التراخي في ضربه ومعاقبته فوق ما تساهلت به أنا بنفسي حياله سابقاً . وقـد تغاضيت عن الشر وأفلتُ له العنان بدل أن أتصدّى له بالقصاص الشديد . هـــذا ما يقلقني يا صديقي ، ومـــا دعاني إلى إلقاء هذه المهمة على عاتق انجلو ، لأنه حين يجد نفسه مضطراً ، سيضرب بحزم محاولاً أن لا يخطىء الهدف ، بدون أن أتعرض أنا شخصياً أثناء ابتعادي عن الأنظار للانتقاد اللاذع والتجريح الأليم. ولكي أراقب معالجته الأمور عن كثب ، أريد ، باعتباري متخفياً في ثوب أحـــد رهبانك ، أن أزور نائبي المصلح وشعبي المطلوب اصلاحه ، فأرجو منـــك أن تؤمّـن لي الثوب وأن تدربني على مـا ينبغي لي أن أتصرف بموجبه لأظهر كراهب حقيقي . وسأشرح لـك عند الاقتضاء باقي

الأسباب التي دعتني إلى اتخاذ هذا القرار . فاسمع إذاً ما أقول : ان السيد انجلو كثير الوساوس ، ويحـــذر كثيراً اتباع أهوائه . وهو يكاد لا يقرّ بأن دمه يغلي في عروقه أو أن شهيته إلى الخبز مصدر الحياة أقوى منها إلى الحجر مقرّ الممات وباب السعادة الدائمة. وسأرى إن كانت السلطة ستبدل أفكاره وأحواله ، وألمس حقيقة مـــا يخفيه تحت ظواهره الهادئة .

(يخرجان)

المشهد الرابع

في الدير

تدخل ايزابيل وفرنسيسكا

ايزابيل — وأنتِ أيتها الراهبة ، أليس لكِ امتيازات أخرى ؟

فرنسيسكا — أوليست هذه على قدر المقام ؟

ايزابيل — أجل ، في الحقيقة ، أنا لا أتمنّى أكثر منها ، بل بالعكس

أود أن يسود النظام بصورة أنجع وأعمّ على جميع راهبات سنتْكلير .

لوسيو – (ينادي من خلف المسرح) يا جماعة ، السلام على أهل هـذا المكان .

ايزابيل – من ينادي ؟

فرنسيسكا – هذا صوت رجل ، يا عزيزتي ايزابيل . أديري مفتاح الباب واسأليه ماذا يريـــد . فهذا مسموح لك ، لا لي ، لأنكِ لا تزالين حرّة . وحين تعلنين نذورك ، لن يسمح لـكِ بأن تكلمي أي رجل إلا بحضور الرئيسة . حتى إن تكلمتِ ، عليكِ أن لا تريه وجهكِ ، وإذا رأى وجهكِ عليكِ أن لا تكلّميه. هو لا يزال ينادي. فارجو منكِ أن تردّي عليه.

(تخرج فرنسيسكا)

ايزابيل – (تفتح الباب) أحييك يا سيدي ، وأتمنى لكَ كل خير . من تكون أيها المنادي ؟

لوسيو – (يدخل) السلام عليك أيتها العذراء ، إن كنت كذلك ، كما تعلن ورود خدّيكِ .هل لكِ أن تؤدّي لي خدمة وتقوديني إلى ايزابيل المبتدئة في هـذا الدير ، فأنا آتٍ من قبل أخيها التعيس كلوديو ؟

ايزابيل – لماذا تقول إن أخاها تعيس ؟ أعذرني على هذا السؤال ، فأنا شقيقته ايزابيل .

لوسيو – أيتها الحسناء اللطيفة ، أخوكِ يهديكِ أحر سلامــه ، ويبلغكِ بكلمتين أنه مسجون .

ايزابيل – يا لشقائي ! لماذا سُجن ؟

لوسيو – لأجل ما ، لو كنت أنا أحاكمه ، وجّهت إليه الشكر بدل العقاب ، لأنه صيّر صديقته أمّاً .

ايزابيل – لا تقصّ عليّ مثل هذه الحكاية المزعجة ، يا سيدي .

لوسيو – هذه هي الحقيقة ، وإن تكن نقيصتي المألوفـة أن أتصرّف كالزرزور ، وأن أتمادى في المزاح مع الفتيات ، لأن الرزانة بعيدة جداً عن طبعي . أنا لا أريد أن أتسلى بهـذه اللعبة الخطيرة مـع كل العذارى . لكنني أعتبرك مخلوقة سماوية مباركة ، ذات نفس خالدة بالترفـــع والإباء ، ولا يسوغ التحدث إليكِ إلا بصدق وجدّ وأمانة كأنكِ قديسة .

ايزابيل – أراك تجدّف على القيم باستهزائك هكذا بي .

لوسيو – لا تقولي هـذا أبداً . بالاختصار هذا ما جئت أعلمك به : شقيقك وعشيقته قد تعانقا . ولمّا كان كل ما يتغذّى يمتلىء والأرض الجيدة تنمّـي النباتات وتحولها من بذور إلى أزهار

ثم إلى ثمـار يانعة للقطوف ، هكذا أحشاء الفتاة الخصبة لا تلبث أن تنمّ عن حسن الحراثة واكتمال النضوج .

ايزابيل — ومن هي الفتاة التي سايرته ؟ هل هي نسيبتي جولييت ؟

لوسيو — نعم . وهل هي نسيبتكِ ؟

ايزابيل — أجـــل ، بالتبنّـي . أنت تعرف أن التلميذة تتخذ أحياناً اسماً جديداً ، بتصرف صبياني وسلوك غير جدي .

لوسيو — أجل هي هكذا .

ايزابيل — عليه إذاً أن يتزوجها .

لوسيو — هنا المشكلة . لقـد ذهب الدوق في رحلة بطريقة غريبة ، وأبقى وجهاء عديدين ، وأنا منهم ، في انتظار ما يترقبون من أعمال. لكننا عرفنا ممن يطّـلعون على أهم أسرار الدولة، أنـ تصريحاته بعيدة كل البعد عن نواياه الحقيقية . وفي مكانه اليوم ، يحكم السيد انجلو ويمارس السلطة كاملة، وهو رجل ممزوج دمه بثلج ذائب ، لا يشعر بأي احساس عذب أو عاطفة رقيقة ، بل يخنق ويدفن غريزته الطبيعية ، في سبيل تطهير نفسه بالتأمل والصوم . ولكي يكبح جمـــاح الأخـــلاق والحريات تعوّد منذ زمن طويل أن يداعب القوانين القاسية ، كالفـأر في حضرة الأسد ، وأن يتشبّـث

بنصوص كالتي تـدين أخاك وتحرمه نعمة الحياة . لذا أمر بتوقيف كلوديو ليطبق عليـه القانون بكل صرامة ويجعله عبرة لمن يعتبر ، ولا أمـل بانقاذه إلا إذا التمست ذلك من انجلو بتوسل واستعطاف . هـذا هو سبب مجيئي إليكِ ، فلا تتأخري في الوساطة لإنقاذ أخيك المسكين .

ايزابيل — وهل يقصد حقاً أن يسلبه حياته .

لوسيو — لقد أصدر حكمه عليه بالاعدام ، كما علمت ، وما على ضابط الشرطة إلا تنفيذه .

ايزابيل — آسف للوسيلة الوضيعة التي عليّ أن ألجأ إليها لكي أنقذه من الموت .

لوسيو — جربي استخدام السلطة التي تتمتعين بها .

ايزابيل — سلطتي ، أنا أشك ...

لوسيو — شكوكنا بنفسنا تجعلنا كالخونـــة نخسر الانتصار الذي نستطيع أن نحرزه ، ونخشى هكذا أن نقوم بـأية محاولة . إذهبي وأقنعي السيد انجلو بأن الفتيات عندما يصمّمن على نيـــل شيء لا يسع الرجال إلا أن يكونوا كرماء في تلبية طلباتهن وارضاء رغباتهن .

ايزابيل — سأرى ما يمكنني فعله .

لوسيو – المسألة تقتضي العجلة .

ايزابيل – ساهتم بالأمر حالاً ، بعد أن أعلم الرئيسة بالمشكلة. أشكرك بتواضع على هذه الخدمة . فسلم لي على أخي . وهذا المساء آمل أن أخبره بنجاح مسعاي .

لوسيو – استأذنك بالانصراف .

ايزابيل – وداعاً أيها الصديق الوفي .

(يخرجان)

الفصل الثاني

المشهد الأول

في قاعة محكمة الجنايات

يدخل انجلو واسكالوس ثم القاضي الجنائي وضابط الشرطة ، ورجال القضاء والموظفون ، فيما انجلو واسكالوس يتحدثان

انجلو – من واجبي أن لا أدع القانون يصير خيالاً جامداً ، ننصبه لترويع العصافير الجارحة ، فإذا بـه يظل بدون مفعول ويمسي لها محطاً بدلاً من أن يكون أرهاباً .

اسكالوس – أنا من رأيك . فلنشحذ إذاً خناجرنا ، لكن لنستأصل شأفة

الشر برفق ، لا انطعن غـدراً ونميت . آسف أن يكون ،
لهذا الوجيه الذي أريد تخليصه، والد في غاية النبل.فألتمس
العون من سعادتك، وأنا واثق من تمسكك بأهداب الفضيلة
فإذا كنت فيفورة عواطفك وجدت الزمان يناسب المكان،
والمكان يوافق رغبتك ، وإذا كان اتجاه إحساسك قد أدرك
غاية أفكارك ، ألا تكون مَرّةً في حياتك قـــد ارتكبت
الخطأ الذي تعاقب لأجله ، واستهدفت العقاب بسببه ،

انجلو — التعرض للتجربة يا اسكالوس، لا يعني السقوط فيها حتماً.
أنا لا أنكر أن بين المحلفين الذين يتحكمون بحياة المجرمين
يوجد لص أو اثنان ، ذنبهم أكبر من ذنب المتهم . ولربمـا
اعتمدت المحكمة على مـا توصّلت إليه من أدلة ، لإصدار
قرارها ، فمـا ذنب القانون ، إذا حاكم اللصوص لصوصاً ؟
ببساطة ، إذا وجدنا جوهرة على الأرض إلتقطناها ، وإذا
لم نشاهدها دسناها بـــدون أن ندري بوجودها . هكذا لا
يسعك أن تعفو عن المجرم لمجرّد كونك أنت ذاتك ارتكبت
عين جرمه. إنما قل لي بصراحة ، إن ارتكبتُ هذا الجرم،
أنا الذي أحاكمه ، هـــل يتحتم على حكمي ذاته أن يكون
سابقة لادانتي واعدامي، بدون ان يكون للانحياز دخل في

هذه القضية ؟ يا سيدي ، لا بدّ لهذا المجرم من ان يموت .

اسكالوس – تصرّف حسب ما تمليه عليك حكمتك .

انجلو – (يرفع صوته) أين ضابط الشرطة ؟

ضابط الشرطة – انا هنا انتظر اوامر سعادتك .

انجلو – اعمل على تنفيذ الحكم بكلوديو غـــداً في الساعة التاسعة صباحاً . جيئوه بمن يهوّن عليه ويهيئه ، لأنـه وصل إلى آخر طريقه في الحياة .

(يخرج ضابط الشرطة)

اسكالوس – هيا بنا . سامحه الله وسامحنا جميعاً . البعض يرتفع بالخطيئة، والبعض الآخر يسقط بالفضيلة . البعض يخلص من مجموعة جرائم بدون ان يكون مسؤولاً عن واحدة منها، والبعض الآخر يُحكم عليه بسبب ذنب طفيف واحد فقط .

يدخل كود والملم رغوة وبومبي وبعض رجال الشرطة

كود – (الشرطيين) هيا خذوه . فإن ظل الناس في هذه الجمهورية، حتى الصالحون منهم ، يعيشون فساداً في البيوت العامـة ، اكون اول من يتجاهل القوانين ... خذوه .

انجلو – (لكود) ما اسمك يا سيدي ، وما حاجتك ؟

كود – انا ، يا صاحب السعادة ، حارس الدوق واسمي كود .

واستناداً إلى العدالة يا سيدي ، آتي إلى سيادتك بمحسنين تقيين .

(يشير إلى المعلم رغوة وبومبي)

انجلو — محسنين ؟ محسنين من اي نوع ؟ ألا يكونان من المفسدين ؟

كود — لا أعلم يا سيدي ، من هما . لكني على يقين بأنهما نذلان لا غش فيهما ، وبعيدان عن أي عمل خيّر يصدر عن رجل صالح .

اسكالوس — هذه مقدمة ممتازة تأتي من شرطي قدير .

انجلو — هيا قل لي ما هي أوصافهما ؟ أأنت تدعى كود ؟ لماذا لا تتكلم يا كود ؟

بومبي — هو لا يستطيع يا سيدي ، لأنه شخص مشبوه .

انجلو — (لبومبي) من أنت إذاً ، يا هذا ؟

كود — هو ، يا سيدي ، أجير حانة ، نصف قوّاد . هو فتى مفتول السواعد في خدمة امرأة متهتكة من أحد البيوت العامة ، وقد سقطت في إحدى الضواحي كما يقال ، وهي الآن تتعاطى مهنة الدعارة في أكره بيت على ما أظن .

اسكالوس — كيف عرفت ذلك ؟

كود — هي زوجتي ، يا مولاي . وأنا أكرهها أمام الله وأمام

سيادتك ...

اسكالوس — ماذا تقول ؟ أهي زوجتك ؟

كود — نعم ، يا مولاي . هي ، والحمد لله ، من أشرف النساء .

اسكالوس — أكذلك أنت تكرهها ؟

كود — أجل ، يا مولاي . أكرهها أنا وزوجتي أيضاً. ولو لم يكن ذاك البيت وكراً للدعارة لكان لا بأس به . على كل حال هو بيت فساد .

اسكالوس — كيف عرفت ذلك ، أيها الشرطي ؟

كود — بواسطة السيدة المرهقة ، يا مولاي . وقد بصقتْ في وجهه الوقح لأنه عاندها .

بومبي — هذا غير صحيح ، يا سيدي .

كود — (يشير إلى انجلو ، ويشير اسكالوس إلى بومبي) اثبت قولك أمام هذين الشاهدين أيها الشريف المتطاول ، اثبت قولك .

اسكالوس — (لأنجلو) هل سمعت كيف غيّر كلامه ؟

بومبي — كانت زوجته حبلى حين دخلتْ ، يا سيدي ، وكانت تشتهي الخوخ المطبوخ ، ولم يكن لدينا منه في تلك الأيام البعيدة سوى حبّتين مصفوفتين في صحن حلوى ، كل واحدة منهما ثمنها ستة فلوس. لا بدّ لسيادتك من أن تكون

أبصرت مثل هذه الحصون ، فهي ليست من النوع الصيني، لكنها مع ذلك جميلة .

اسكالوس – هيّـا أكمل ، فالصحن لا أهمية له ، يا صديقي .

بومبي – كلا ، بالفعل ، يا سيدي ، نظير أي وعـاء آخر . أنت على صواب . لكن في الحقيقة كما قلت لك ، هـذه السيدة كود كانت حبلى وبطنها كثير الانتفاخ، وكانت كما قلت تشتهي الخوخ جـــداً . وكما قلت أيضاً لم يكن في الصحن سوى حبتين . وكان المعلم رغوة الحاضر ها هنا قـد أكل القطع الأخرى، كما قلت ، وقد دفع ثمنها كما قلت بصدق. بالفعل كما تعرف ، أيها المعلم رغوة لم أستطع أن أردّ لك الفلوس الستة .

المعلم رغوة – كلا ، فعلاً .

بومبي – حسناً . كنت إذاً على وشك أن أكسر بزرة الخوختين المذكورتين .

المعلم رغوة – نعم ، فعلاً .

بومبي – حسناً ، كنت أقول لك إذا تذكرت ، ان فلاناً أو فلاناً لن يشفى أبداً من هـذه العلة إلا إذا اتبع نظام حمية معينة في الأكل ، كما قلت لك .

المعلم رغوة – كل هذا صحيح .

بومبي – إذاً ، كما قلت لك .

اسكالوس – أنت غبي مملّ . أسألك أن تعلمني بمـــا جرى لامرأة كود موضوع هذه الشكوى ؟ أخبرني ماذا جرى لها ؟

بومبي – لا يمكنك يا صاحب السعادة أن تدرك ذلك.

اسكالوس – يا سيدي ، أنا لا أنوي إدراكه .

بومبي – مـع ذلك يا مولاي ستدركه إذا شئت يا صاحب السعادة . فاستحلفك أن تنظر بعين الاعتبار إلى المعلم رغوة الحاضر ها هنا لأنـه رجل يربح ثمانين ليرة في السنة ، مات أبوه في يوم عيد ، أوليس كذلك أيها المعلم رغوة ؟

المعلم رغوة – أجل في مساء العيد .

بومبي – حسناً حسناً. أعتقد بأن هذه حقائق هامة. هو ، يا سيدي، كان جالساً ، كما قلت ، على كرسي غير عالٍ ، يا مولاي . وكان ذلك في قاعة « العنقود » حيث بالفعل (يلتفت إلى المعلم رغوة) كنت تحب أن تجلس أيها المعلم رغوة ، أليس كذلك؟

المعلم رغوة – نعم أحبها ، لأنها غرفة مفتوحة وصالحة للتسلية .

بومبي – حسناً حسناً ، هذه حقائق هامة .

انجلو – (لأسكالوس) وهي طويلة كأنها ليلة من ليالي الشتاء، بل من

أطول الليالي . استأذنك بالانصراف، وسأعلمك بالسبب فيما بعد ، آملاً أن تجده صالحاً لتضربهم جميعاً .

اسكالوس – كنت أترقب ذلك . السلام على صاحب السيادة (يخرج انجلو) والآن يا سيدي أكمل . ماذا جرى لامرأة كود ؟ أكرر عليك السؤال مرة أخرى .

بومبي – مرة أخرى ؟ يا سيدي ، لم يفعل لها أحد شيئاً إلا مرة واحدة .

كود – (لأسكالوس) استحلفك ، يا سيدي . اسأله ، ماذا فعل هذا الرجل لزوجتي ؟

بومبي – استحلفك ، يا صاحب السيادة ، أن تسألني ذلك .

اسكالوس – إذاً ، ماذا فعل هذا السيد لزوجته؟

بومبي – (يشير إلى المعلم رغوة) استحلفك يا مولاي أن تتأمل في محيا هذا الوجيه . يا عزيزي المعلم رغوة ، أنظر إلى صاحب السعادة . هذا لخيرك . هل تلاحظ وجهه يا مولاي ؟

اسكالوس – نعم ، يا سيدي ، ألاحظه جيداً .

بومبي – استحلفك بأن تلاحظه جيداً جيداً .

اسكالوس – طبعاً هذا ما أفعله .

بومبي – ألا ترى شيئاً سيئاً في محياه ، يا سيدي ؟

اسكالوس – كلا ، كلا .

بومبي – أنا أفترض ، ويـدي على الكتاب الكريم ، ان وجهه أبشع مـا فيه . فكيف أمكن المعلم رغوة أن يُلحق شراً بزوجة الشرطي .

كود – أولاً ، البيت محترم . ثم ، هذا الفتى محترم، وأخيراً عشيقته امرأة محترمة .

بومبي – بذمّـتي، يا مولاي، أؤكد لك ان زوجته أشرف منا جميعاً.

كود – أنت تكذب أيها الحقير، أنت تكذب. سيأتي يوم لن تكون فيه محترمة أبداً بين الرجال والنساء والأولاد .

بومبي – لقد كانت محترمة ، يا سيدي ، قبل أن يتزوجها .

اسكالوس – (ينظر إلى كود ، ثم إلى بومبي) ما هو المعقول أكثر من سواه هنا ، أكلام القاضي أم المذنب ؟ (لكود) مـا قولك أنت ؟

كود – (لبومبي) يا شقي ، يا حقير ، يا مجرم . أنا محترم قبل أن أتزوجها . وكم كنا نتبادل الاحترام معاً ! أرجو أن تنظر إليّ يا صاحب السعادة كشرطي أمين في خدمة الدوق . أثبت ذلك أيهـــا المحتال ، أو أرفع عليك دعوى استرداد شرف .

اسكالوس — إذا صفعك على خدك ، يمكنك أن ترفع عليه دعوى تحقير .

كود — أشكرك يا صاحب السعادة . أما أنت أيها الوقح ، ألا ترى ماذا سيحل بك ؟ أكمل يا حقير ، أكمل .

اسكالوس — (للمعلم رغوة) أين ولدت يا صديقي ؟

المعلم رغوة — هنا في فينّـا ، يا مولاي .

اسكالوس — هل يبلغ دخلك ثمانين ليرة في السنة ؟

المعلم رغوة — أجل يا سيدي .

اسكالوس — هذا يكفي . (لبومبي) ما هي صنعتك يا سيدي ؟

بومبي — أجير حانة ، وأنا ابن أرملة بائسة .

اسكالوس — وما هو اسم عشيقتك ؟

بومبي — السيدة المرهقة .

اسكالوس — هل كان لها اكثر من زوج واحد ؟

بومبي — تسعة ، يا سيدي ، والأخير دعاها المرهقة .

اسكالوس — تسعة أزواج ؟ اقترب أيها المعلم رغوة . أنا لا انصحك بأن تعتاد على اصحاب الحانات، لأنهم سيسلخون جلدك. وأنت تذهب بهم إلى المشنقة. هرول الآن ولا تدعني اسمع بذكرك بعد اليوم .

المعلم رغوة — اشكرك يا صاحب السعادة . من جهتي انا ، لن ادخل بعد

الآن إلى أية حانة كي لا يسلخ أحد جلدي .

اسكالوس – حسناً . هذا يكفي ، أيها المعلم رغوة . الوداع (يخرج المعلم رغوة . لبومبي) تعال إلى هنا يا صاحب الحانة ، اقترب . ما اسمك ؟

بومبي – اسمي بومبي .

اسكالوس – وايضاً .

بومبي – ذو المؤخرة .

اسكالوس – أجل ، مؤخرتك اكبر ما فيك ، وبالمعنى الحيواني ، أنت بومبي الكبير ، أنت بومبي القوّاد ، وإن ادعيت انك صاحب حانة ، أليس كذلك ؟ هيا قل لي الحقيقة ، لأن هذا أوفق بالنسبة إليك .

بومبي – بالله عليك ، يا سيدي ، أنا رجل مسكين، اريد ان اعيش.

اسكالوس – كيف تريد ان تعيش يا بومبي. بأن تكون قوّاداً ؟ كيف ترى هذه المهنة يا بومبي ؟ هل هي عمل شريف ؟

بومبي – نعم ، يا سيدي ، إذا سمح بها القانون .

اسكالوس – القانون لا يسعه أن يسمح بها يا بومبي ، ولن يسمح بها أبداً في فينّا .

بومبي – هل سعادتك مصمّم على تشويه شبان المدينة بخصيهم ؟

اسكالوس – لا ، يا بومبي.

بومبي – في هذه الحالة ، يا سيدي ، وحسب رأيي المتواضع ، لا بدّ من ان يصلوا إلى غايتهم . فإذا أردت يا صاحب السعادة أن تتخذ التدابير اللازمة بحق المومسات الفاجرات الجسورات ، فلا مجال لأن تخشى القوّادين .

اسكالوس – أؤكد لك انني اتخذت التدابير اللازمة ومن جملة ما تنطوي عليه قطع الرأس والشنق إذا اقتضى الأمر .

بومبي – إذا قطعت الرؤوس او شنقت فقط مدة عشر سنين ، فإن معالجة هذا المشكل ستحتاج إلى دفع عمولة للحصول على رؤوس جديدة . أما إذا غابت هذه التدابير عشر سنين عن فينّا ، إستأجرت أنا أجمل منزل في المدينة لسكني بمعدل ستة فلوس عن كل قدم من الأرض ، وإذا عشت كفاية لترى ذلك تذكّر ما أتنبّأ به الآن أنا بومبي .

اسكالوس – شكراً ، يا بومبي الخبير . فمقابل نبوءتك إسمع النصيحة التي اسديها إليك : لا ترني وجهك ، ولا تظل هنا مهما كان السبب وجيهاً ؛ ولا تسكن حتى حيث انت مقيم في الوقت الحاضر . وإلا لاحقتك ، يا بومبي ، إلى كوخك، وكنتُ بالنسبة إليك كقيصر الرهيب،ولنتكلم بصراحة يا بومبي،

لجلدتك جلداً . ساغض النظر عن دناءتك هـــذه المرة ، فالوداع .

بومبي – اشكر سيادتك على نصيحتك الغالية . ولكن إلى أي مـدى ساتبعها ، هذا تحدده الأجساد والخطوط والرغبات .

« لا يمكن أن تجلدني ، ان على سائق العربة ان يجـلد حصانه بالسوط لأن السوط لن يطرد ، من القلب المحب ، ميلاً متأصلاً وبمهنته مربوط » .

(يخرج)

اسكالوس – تعال الى هنا أيها الشرطي كود ، اقترب أيـها المغفّـل . كم مضى عليك من الوقت وانت تمارس مهنتك كرجل امن ؟

كود – سبعة اعوام ونصف ، يا سيدي .

اسكالوس – لقد حكمت عليك من جراء راحتك في هـذه الوظيفة ، بانك تممت واجباتك فترة من الزمن: تقول أنت انها تناهز سبعة أعوام متوالية .

كود – ونصف ، يا سيدي .

اسكالوس – يا للأسف ، كم أتعبك هذا العمل ! فمن غير المعقول أن يفرض عليك هذا الواجب هكذا طويلاً ، وان لا يوجد رجال غيرك أهل للقيام به .

كود – والله يا سيدي قليلون هم الذين لديهم الكفاءة في هذا المجال . ومن يقع عليهم الاختيار سيسرّهم أن يراجعوني لأقوم مقامهم . وأنا مستعد لأن أفعل ذلك لقاء بعض المال ، وأن أتكفّل بكل شيء .

اسكالوس – اسمع . عليك أن تقدم لي اسماء الستة او السبعة القادرين على ذلك ، في جوارك .

كود – أقدمها لسعادتك ؟

اسكالوس – أجـــل ، لي أنا . الوداع . (يخرج كود . للقاضي) كم هي الساعة الآن ؟

القاضي – الحادية عشرة ، يا سيدي .

اسكالوس – أدعوك إلى العشاء عندي .

القاضي – أشكرك بتواضع .

اسكالوس – موت كلوديو . يحزنني . لكن لا حيلة لي بمنعه .

القاضي – السيد انجلو صارم جداً .

اسكالوس – هذا ضروري . لأن الرفق غاب عن الوجود ، وإن بدا الأمر عكس ذلك في أغلب الأحيان . فالعفو دائماً ، كما يقال ، يولّد التكرار . مع ذلك ، مسكين كلوديو لا سبيل

لإنقاذه . هيّــا بنا ، يا سيدي .

(يخرجان)

المشهد الثاني

في قصر انجلو

يدخل ضابط الشرطة وأحد الخدم

الخادم — لقــد ذهب ليستمع إلى قضية ، وسيعود في الحال ، فاخبره بمجيئك .

ضابط الشرطة — أرجو منك أن لا تنسى (يخرج الخــادم) أريد أن أعرف قراره ، فلربمــا لان . يا للأسف ، هو لم يعترف إلا بغلطة مشؤومة واحدة. فكل الطبقات وجميع الأعمار سرت إليها العدوى من هــذه الرذيلة ، ولا بدّ إذاً لاستئصالها خوفاً من ان يموت.

(يدخل انجلو)

انجلو — ماذا تريد ، يا ضابط الشرطة ؟

ضابط الشرطة – هل هي مشيئتك إن يُعدم كلوديو غداً ؟

انجلو – ألم أؤكد لك ذلك ؟ أوليس في حوذتك الأمر اللازم؟ فلماذا هذا السؤال مجدداً ؟

ضابط الشرطة – أخشى ان استعجل الأمور . لقد رأيت القضاء مراراً يندم على ما ينفّـذ من قراراته .

انجلو – هيّـا ، أنا آخذ كل المسؤولية على عاتقي . فقم بواجبك ، او إستقل من هــــذه الوظيفة ، وأنا مستعد للاستغناء عنك واستبدالك .

ضابط الشرطة – ألتمس عفوك يا صاحب السيادة . مــــاذا تريد ان افعل بالمتحجبة جولييت ؟ وقد أشرفت على آخر ايامها لتلد .

انجلو – خذها الى مكان انسب من هنا ، وبدون إمهال .

(يعود الخادم)

الخادم – جاءت شقيقة المحكوم عليه تطلب مقابلتك .

انجلو – هل له اخت ؟

ضابط الشرطة – أجـــل يا مولاي الكريم . وهي صبية متمسكة باهداب التقوى ، تنوي دخول الدير قريباً ، إن لم تكن قد دخلته.

انجلو – (للخادم) دعهــــا تدخل إلى الدير (يخرج الخادم . لضابط الشرطة) إسهر أنت على أخذ المتهتكة من هنا. اعطوها كل

ما يلزمها ، لكن بدون إكثار . وساصدر الأوامر بهـذا المعنى .

يدخل لوسيو ومعه ايزابيل

ضابط الشرطة – (يحيّي بابتسام) حفظك الله يا صاحب السيادة .

انجلو – ابقَ برهة . (لايزابيل) اهلاً ومرحباً بك . ماذا تريدين ؟

ايزابيل – جئت أتوسل إليـك يا صاحب السعادة ، وأرجو منك ان تستمع إليّ .

انجلو – وما هي قضيتك ؟

ايزابيل – انا آبى ان اتدخل في مسالة اكره وقوعها في قبضة العدالة، وما كنت أتوسط لأجلها لو لم أكن مضطرة، ولو لم تتنازع في رأسي رغبتي في انتصار الحق واحتقاري فوز الرذيلة .

انجلو – قولي لي ، ما هي ظلامتك ؟

ايزابيل – لي اخ محكوم عليه بالاعدام . فجئت استحلفك بـأن تنفذ الحكم بالجرم لا بأخي .

ضابط الشرطة – (على حدة) كان الله في عونك لتحرّكي عواطفه الجامدة .

انجلو – وكيف تريدنني ان احكم على الجرم لا على مرتكبه ؟ إن كل جرم مرذول حتى إن لم يرتكب، ومنصبي لا يبقى له معنى إذا لم يُقمع الجرم الذي يعاقب عليـــه القانون ، وتُرك

مرتكبوه احراراً يسرحون ويمرحون .

ايزابيل – يا للقوانين العادلة والمنصفة ! لقـــد منّ الله عليَّ بأخ ... حفظك الله يا صاحب السعادة ... (تستعد للانسحاب) .

لوسيو – (لإيزابيل بصوت خافت) لا تنسحبي هكـــذا عودي إلى حملتك . توسلي إليه ، اركعي أمامه وتعلقي بأذيال ثوبه . انتِ باردة جداً . لا بـــدَّ لك من الحماسة ، وعليك ان لا تتوسلي باسترخاء . اقول لك ، عودي إلى مطلبك بإلحاح .

ايزابيل – هل يجب عليه ان يموت ؟

انجلو – لا بدَّ من معاقبته ، يا ابنتي .

ايزابيل – اعتقد بانك قادر على مسامحته بـدون ان تُغضب بعفوك هذا ، لا اهل السماء ولا اهل الأرض .

انجلو – انا لا اريد العفو .

ايزابيل – انت تستطيع الصفح إن اردت .

انجلو – اعلمي ان لا طاقة لي على ما لا اريده .

ايزابيل – لكن ، ألا تريد ان تفعل ذلك بدون ان تضرّ بأحد من الناس ، لا سيما إذا كان قلبك يختلج بأقل شفقة عليه ممـــا أشعر أنا به ؟

انجلو – صدر الحكم عليه وفات الأوان .

لوسيو – (لايزابيل بصوت خافت) انتِ باردة جداً. تحمسي وألحّي

ايزابيل – لماذا فات الأوان ؟ لا ، لا . أنا إذا قلت كلمة استطيع ان اسحبها . صدقني . لا شيء كالرفق يزيـــد هيبة تصرفات الكبـــار ، لا تاج الملك ولا خنجر نائب الدوق ولا عصا الماريشال ولا ثوب القاضي . لو كان المحكوم في محـــلك وكنت انت في مكانه لكنت ضعفت مثله وزلّت قدمك ، ولظل هو متصلّباً متشبثاً نظيرك .

انجلو – ارجو منك ان تنسحبي .

ايزابيل – لو شاءت السماء ان تمنحني جبروتـــك وان تكون انت المتوسّل عوضاً عني ، هل تريد أن تجري الأمور هكذا ؟ لا ، لكنت رأيت كيف يتعنّت القاضي وكيف يتذلّل المسجون .

لوسيو – (على حدة) هكذا تتوصلين إلى هزّ عواطفه. لأنك نقرت الوتر الحساس .

انجلو – اخوك حكم عليه القانون ، وأنت تضيّعين وقتك في ثرثرة عقيمة .

ايزابيل – يا للأسف . في الماضي كانت جميع النفوس المريضة محكوم عليها، فوجد الطبيب الدواء لمعالجة الداء الذي تشكو منه.

لكن ماذا يحل بك اليوم إذا حكم عليك مصدر كل عدالة لتصلّبك هـذا ؟ أرجو ان تفكر بذلك فتشعر حينذاك بعامل الشفقة يهز نياط فؤادك كأنك رجل جديد حساس.

انجلو — مـا عليك إلا الإذعان ، يا ابتي الجميلة . فالقانون لا انا ، الحاكم على اخيك. ولو كان نسيبي او اخي أو إبني لما تغيّـر شيء بالنسبة إليه . لا بدّ له من ان يموت غـداً ليكفّـر عن ذنبه .

ايزابيل — غداً؟ هكذا بسرعة؟ استحلفك ان تنقذه، لأنه غير متأهب للموت . نحن حـتى لأجل غذائنا لا نقتل العصفور إلا في موسم الصيد . فهل تسنّى لنا ان نخدم الخـير بخشونة تصرفنا ؟ يا مولاي الكريم القـادر ، ارجو منك ان تتأمل في الأمر وتتساءل عمّـن سواه نفّـذ فيه حكم الاعدام لأجـل هذه الزلّـة التي يرتكبها الكثيرون ؟

لوسيو — (على حدة) هذا كلام مقنع ، ثابري على هذه الوتيرة .

انجلو — مهما غفا القانون فإنه لا يموت . وكل هؤلاء المجرمين ما كانوا ارتكبوا ذنوبهم لو نال كل منهم نصيبه من العقوبـة التي ينص عليهـا القانون . من الآن وصاعداً ستسهر العدالة وتقاصص جميع المخالفين . إذ بسبب التهـاون والتسامح

تفاقمت الجرائم ، وفي المستقبل لن يتسنى للناس ان يعيشوا بأمان إذا لم يوضع حد للشر .

ايزابيل – مع ذلك ألتمس منك أن ترأف بحال اخي .

انجلو – ان تطبيقي القانون هو في حد ذاته عمل رحمة ، لأني أشفق على من لا أعرفهم . أمـــا التساهل فيمهد السبيل لتفشّي الفساد والاجرام . ومن يكفّـر عن ذنبه لا يسعه أن يعاود الكرّة ويرتكب إثماً جديداً . وأنتِ يجب أن تكوني أول المقتنعين بما أقول . فاخوك يجب أن يموت غـداً ، وعليك أن تذعني للواقع .

ايزابيل – هكذا تعتبر نفسك أول من يطبق الحـكم ، وهو أول من يزهق روحه . جميل جداً ان يتحلّى الإنسان بقوة جبارة إنما كل الظلم في التذرع باستخدام هذه القوة كجبار عنيد .

لوسيو – (على حدة) هذا قول سديد .

ايزابيل – لو كان عظماء هذا العالم قادرين نظير يهوا ذاته لما ارتاح يهوا أبـداً . لأن اضعف رجال الدين يملأون سماءه بالرعود ولا شيء سوى الرعود . فيـا سماء الرحمة متى ترسلين بروقك الساطعة لتحرقي السنديانة المعقدة ، المتمردة بـدل الشهيد المسكين . فالويـل للإنسان العنيد المسلح بلسطته الهزيلة

والعارف أقل من سواه بضعف كيانه ، ويتصرف كقرد غاضب يملأ الأرض والسماء بمهازله السمجة، ويُبكي الملائكة الأطهار ، ويكتسب احتقارنا ويثير ضحك اهل الأرض الهالكين .

لوسيو – (على حدة) كوني صامدة ولا تليني . فأنا ارى ان لا بدّ له من تراجعه .

ضابط الشرطة – اتمنى ان تلهمها السماء ما تؤثر به على فؤاده .

ايزابيل – أنا لا اعرف كيف اقيّم اعمال اخ كشقيقي.فالكبار يمكنهم ان يسخروا من الأبرار ،وتعتبر جسارتهم دليلاً على ذكائهم. إنما من يمالىء شخصاً دونه مقدرةً يدنّس حقوق غيره من البشر .

لوسيو – (على حدة) انتِ على صواب ايتها الفتاة الذكية فثابري على إلحاحك .

ايزابيل – ان مـــا يعتبره الضابط كلمة غضب مني ، هو على لسان الجندي مثلاً إهانة فظيعة .

لوسيو – (على حدة) كيف عرفت كل هـذا ؟ اكرر عليكِ ، ثابري على اصرارك .

انجلو – لماذا تلاحقينني بهذه الحِكَم ؟

ايزابيل – لأن السلطة ، مع انها غـــير معصومة عن الغلط نظيرنا ، تحمل في ذاتهـا نوعاً من الدواء الذي يشفي من داء العظمة وصغائرها . حاسب نفسك واقرع صدرك واسأل قلبـك إن كان لا يعترف بما يشبه جريرة اخي.وإذا احسّ بضعف مماثل ، فامنعه عن رشق اخي من خـلال شفتيك بحرمانه الحياة بحكم الاعدام الذي تصرّ سيادتك على تنفيذه .

انجلو – (على حدة) هي تتكلم بمنطق سليم يؤثر على تفكيري المتردد (لإيزابيل بصوت مرتفع) الوداع (يبادر إلى الانسحاب) .

ايزابيل – يا مولاي الكريم ، اسألك ان تعود .

انجلو – دعيني افكر ، وعودي غداً .

ايزابيل – اسمع ما اريد ان استميلك به،يا مولاي الكريم.إلتفتْ إليَّ

انجلو – كيف تستميلينني ؟

ايزابيل – بمنحك هبات تتقاسمها انت والسماء .

لوسيو – (على حدة) لولا هذا القول، لأفسدتِ كل ما قلتـِه إلى الآن

ايزابيل – بإهدائك ، لا قِطَـع عملة ذهبية ، أو احجاراً كريمـة يقدّر ثمنها حسب الأهواء ، بـل صلوات حارّة تصعد إلى السماء وتتغلغل إلى الأعماق قبل الشمس المشرقة ، صلوات نفوس طاهرة تتلوها عند الفجر عذارى نذرن صيام الأفكار التي

لا تشغلها اية متعة زمنية .

انجلو – حسناً تعالي غداً لمقابلتي .

لوسيو – (لإيزابيل بصوت خافت) هيا نذهب ، هيّا بنا .

ايزابيل – حفظك الله ، يا صاحب السعادة .

انجاو – (على حدة) آمين . لأني على شفير هاوية التجربة التي تمنع عني حتى الصلاة النيّرة .

ايزابيل – في اية ساعة تريد ان آتي إليك غداً ، يا صاحب السعادة ؟

انجلو – في اي وقت شئت ، قبل الظهر .

ايزابيل – حرسك الله ، يا صاحب السيادة (تخرج بصحبة لوسيو وضابط الشرطة) .

انجلو – اجل ، ما اكرمك واكرم فضيلتك . ما هذا ؟ ما هذا ؟ هل الذنب ذنبه او ذنبي ؟ من الجاني ؟ اهي المغرية ، أمْ انا ضحيّة الاغراء ؟ طبعاً ليست هي ، لأنها لا تنوي ان تغريني ، بل انا المعرّض للشمس المشرقة على البنفسجة التي تفوح منها رائحة الزهرة ، وعلى نتانة الجيفة التي تزكم برائحتها الأنوف . أيتسنى للعفة ان تروي حواسنا اكثر من انوثة المرأة ؟ عندما يكون لدينا كذا مساحات من الحدائق الغناء ، هل نرغب في هدم معبد الطبيعة لنقيم

مكانه مباذلنا ؟ تبّاً لك إذاً . ماذا عليك ان تفعل يا انجلو ؟ هـل تشتهيها في الاثم لأجل ذات العوامل التي تجعل منها صبية فاضلة ؟ ليعش اخوهـا . فاللصوص مسموح لهم بالسرقة عندما لا يتورع القضاة انفسهم عن السلب والنهب. ماذا جرى لي ؟ هـل تدلّهت بحبها إذاً ، واشتهيت ان اطرب بصوتها ، وان اشبع نظري من مفاتنها ؟ هل انا في حـلم ؟ تباً للضجر الغاشم الذي يهاجم القديس ويحاصره فيتشبث هـذا بالقديّسة كطعم لذيذ . التجربة اخطر المغريات التي تهيج احساساتنا لنضعف ونسقط صرعى الهوى مضحين بالفضيلة . لم تتوصل الدعارة بإغراءاتها المتعددة ولا بجاذبها الطبيعي إلى تحريك عواطفي مرة واحدة ، لكن هـذه العذراء الفاضلة الخاشعة سيطرت على كل كياني،وحتى الآن رغم كل ما بلغني عن جنون رجال يعشقون لم يصدر عني حيالها سوى الابتسام والتعجب .

(يخرج)

المشهد الثالث

في السجن

يدخل الدوق بلباس راهب ، ويتبعه ضابط الشرطة

الدوق – احييك ايها الضابط . اعتقد ان هذه هي رتبتك .

ضابط الشرطة – اجل انا ضابط الشرطة . ماذا تريد ايها الأخ الفاضل .

الدوق – انا رهينة محبتي للناس ، وقـد نذرت حياتي لخدمتهم . لذا جئت ازور النفوس المنكوبة في هـذا السجن . فأرجو ان تسمح لي بمقابلة نزلائـــه ومساعدتهم على تحمل بلواهم ، واحرضهم على التوبة وارعاهم بمقتضى رسالتي السماوية .

ضابط الشرطة – طبعاً اريد ان أسهل لك مهمتك على قدر الإمكان .

(تدخل جوليت)

ها هي إحدى ضيفات هـــذا السجن ، الآنسة التي

سقطت في اللهيب وهي تحوم كالفراشة حول النار ، وقد سببت لها زلّتها انتفاخاً في البطن غير مستور. هي حامل، وشريكها المحكوم عليه شاب يبدو انه مستعد لتكرار ما أقدم عليه اكثر من تأهبه للموت تكفيراً عن زلّته .

الدوق – ومتى عليه ان يموت ؟

ضابط الشرطة – غداً صباحاً على ما اعتقد (لجولييت) لقد هيّأت كل شيء . فانتظري قليلاً ، ليؤتى به إليك .

الدوق – هل انت نادمة يا ابنتي ، على الخطيئة التي تحملين ثمرتها ؟

جولييت – اجل ، وانا اواجه عارها بخضوع تام .

الدوق – ساعلّمك كيف تحاسبين ضعفك، لتعرفي إن كانت ندامتك متينة او هزيلة .

جولييت – سأتعلم راضية .

الدوق – اتحبين الرجل الذي سبّب لك شقاءك ؟

جولييت – نعم كما أحبّ المرأة التي سببت له تعاسته ونفّرته منها .

الدوق – هكذا يظهر انكما ارتكبتما هذا العمل المشين باتفاق متبادل.

جولييت – طبعاً يا سيدي .

الدوق – اذاً خطيئتك افظع من خطيئته .

جولييت – انا اعترف بذلك آسفة ، يا ابتِ .

الدوق — حسناً يا بنيتي. لكن إحذري من ان يكون سبب ندامتك خجلك من العار الذي جرّته عليك خطيئتك . يجب ان تكون ندامتنا نابعة من اعماقنا لا طمعاً بأية مصلحة . إذ في هذه الحالة لا تكون توبتنا حباً بالسماء بل خوفاً من ...

جولييت — إنا نادمة على خطيئتي لأنها شر ، واتقبل عارها متذللة .

الدوق — ثابري على هذه النية . لأن رفيقك على ما علمت لا مناص له من الموت غداً . وساذهب إليه لأزوّده بنصائحي . فليكن الله في عونك .

(يباركها ويخرج)

جولييت — سيموت غداً ! تباً للقوانين الجائرة التي تبقيني على قيد الحياة وقد اضحى تمتعي بها نزاعاً فظيعاً في اعماق كياني .

ضابط الشرطة — كم ارثي لحالها !

(يخرجون)

المشهد الرابع

في قصر انجلو

يدخل انجلو

انجلو — عندما اريـد ان اصلي وافكر ، تتيه خواطري وابتهالاتي بـــين غرض وآخر . ولا يصل إلى السماء من كلماتي إلا الجوفاء . بينا مخيلتي التي لا تسمع مـا يلهج به لساني ، اراهـا مستقرة على ايزابيل . وعلى شفتي وأنا اتمتم اسمها أحسّ في قلبي بوطأة الشر المتأصل في اعمـــاقي وبرغباتي المتزايدة. اما القانون الذي حصرت فيه كل دراساتي،فأجده ككتاب مفتوح بات في نظري لكثرة تكرار تلاوته، باهت الكلمات معقد المعاني. ورصانتي التي كانت ينبوع فخري ومجدي لا اريد ان يسمعني احـد حين اعترف في قرارة

نفسي بأنها تهلهلت واضحت كريشة في مهب الرياح . يا لكرامتي المهدورة ، يا لمظهري الخدّاع ! كم مرة بفضل تستري وتبرقعي قد أثرت خوف المجانين وكبلت وعي العقلاء بسلاسل صلاحي الكاذب تباً لهذا الجسد الذي يظل دائماً ممرّغاً في التراب . ولو كتبت كلمة ملاك على قرن الشيطان، لن يغترّ بها انسان نزيه ويحسبها ريشة طاووس تزين قبعة ابليس اللعين .

(يدخل أحد الخدم)

من الآتي الى هنا ؟

الخادم – راهبة صبيّة تدعى ايزابيل ، تطلب مقابلتك .

انجلو – ادخلها إليّ (يخرج الخادم) يا إلهي! لماذا يخفق قلبي هكذا، ويسرع دمي في عروقي وأرتخي في مكاني كأني مخلع ، فتتوقف سائر أجهزة بدني عن الحركة ؟ هكذا يتحكم الجمهور برجل مغمى عليه ، ويبادر إلى اغاثته ويؤمّن له الهواء المنعش الذي يعيد إليه الحياة . وهكذا رعايا الملك المحبوب يغادرون مشاغلهم بدافع المودة الكئيبة ويتقاطرون عليه حتى يكاد ما يبذلونه في سبيله من اخلاص مصطنع يجعله منبوذاً كالأجرب .

تدخل ايزابيل

يا لها من فتاة رائعة !

ايزابيل – جئت لأطّلع على ما قرّ عليه رأيك يا مولاي .

انجلو – وددت ان تعرفيه بدون ان تسأليني . لأن أخاك لا يمكنه أن يعيش .

ايزابيل – هكذا إذاً حكمك لم يتبدّل . حفظك الله على كل حال ، يا صاحب السيادة (تتأهب للانسحاب) .

انجلو – على كل حال ، يستطيع أن يظل حياً بعض الوقت بقدر ما يتسنى لي ولك . مع ذلك ، لا بدَّ من أن يموت .

ايزابيل – بموجب حكمك طبعاً .

انجلو – أجل .

ايزابيل – متى ؟ استحلفك أن تقول لي ، كي أتيح له في هذه الأثناء مهما بلغت المهلة من طول أو قصر ، أن يتدبر أمر نفسه ويصونها من الضياع .

انجلو – تباً لرذائله المنحطة ! يجمل بي أن أعفو عمن سلب حياة إنسان غدراً ، ولا أن أغض الطرف عن الغرق في مثل هذه الملذات المعيبة التي تشوّه الصورة الإلهية وتقلبها إلى اشكال شيطانية محرّمة . كم يسهل على المرء أن يهدم بطريقة غير

شرعية وجوداً شرعياً، اكثر من أن يصهر المعادن في بوتقة محرّمة لصنع أصناف غير قانونية.

ايزابيل – هكذا كتب في السماء وعلى الأرض.

انجلو – أهذا رأيك ؟ إذاً دعيني أعانقك بسرعة . ماذا تفضلين ؟ أن تزهق الشرائع العادلة روح اخيك ، أو أن تفتديه أنت بتسليمي جسمك في متعة غير طاهرة نظير امرأة لوّث العار شرفها ؟

ايزابيل – صدقني ، يا مولاي ، أنا افضل ان اضحي بجسدي للمحافظة على نفسي .

انجلو – انا لا اتكلم عن روحك . فالخطايا المرتكبة عنوةً غير مقصودة وليس لها أي حساب .

ايزابيل – ماذا تقول ؟

انجلو – لا ، أنا لا اضمن لك ذلك. لأني قادر على انكار ما قلته الآن. أجيبيني على هذا السؤال : انا اليوم أنفذ القانون المكتوب، وأصدر حكماً بالاعدام على اخيك. أوليس الأهون ارتكاب خطيئة بغية انقاذ حياة هذا الأخ ؟

ايزابيل – اقبل انت العفو عنه ، وانا اغامر بنفسي . فيأتي عملي رحمة لا خطيئة .

انجلو — اذا رضيت فعلاً بـــان تغامري بنفسك ، فالرحمة تغفر الخطيئة .

ايزابيل — ان ارتكبتُ الخطيئة لأدعه يعيش اتحمل انا عقابها ، وان ارتكبتَ انت الخطيئة باستجابتك طلبي ، ساصلي كل صباح ومساء لكي يضاف ذنبك الى خطيئتي ، ولا تُحاسب عليه مطلقاً .

انجلو — لا ، لا . اصغي اليَّ . فكرك لا يتبع فكري، لأنك جاهلة، او انك تتظاهرين بالغباء ، وهذا ليس بحل صالح .

ايزابيل — دعني اظهر جاهـــلة سيئة التصرف ، فأحصل على نعمة الاقرار بعدم كفاءتي .

انجلو — هكذا تحاول الحكمة ان تبدو اكثر عدلاً باتهام ذاتها . كما ان القناع الأسود يبعث على تصوّر الجمـال عشر مرات أروع من الجمال المكشوف . لكن ، اصغي اليَّ لكي تفهميني جيداً اكرر عليك بجلاء اوضح : لا بدّ لشقيقك من أن يموت .

ايزابيل — هذا فهمته تماماً .

انجاو — وذنبه يستحق بكل تاكيد هـــذا الحكم الذي فرضه عليه القانون .

ايزابيل — وهذا فهمته أيضاً جيداً .

انجلو – أظن ان انقاذ حياته يمكن بوسيلة واحدة فقط لا غير .. وانا اقترح هذا الحل دون سواه . انا اتكلم عن احتمال .. افترضي انك انت اخته ، يشتهيك احد أصحاب المناصب العالية ، وان هذا الأخير له دالة على القاضي ، وبواسطة نفوذه يستطيع أن يفك قيود القانون الذي يرسله الى الاعدام، وان لا وسيلة على الأرض لخلاصه الا بتسليم كنوز جسدك الى هذا الرجل ، والا تحتم عليك ان تدعي اخاك يُعدم ، فماذا تفعلين ؟

ايزابيل – افعل لانقاذ اخي ما أفعله لتخليص نفسي . واذا تعرضت لخطر الموت ساقبل باوجاع السوط الذي يمزق ضلوعي واعتبرها بلسماً ، وأتعرّى لمواراتي في ظلمة القبر ، كأني أتعرّى للتمدد على فراش دافىء من الأشواق ، وارفض المتاجرة بجسدي في سوق الدعارة والفسق .

انجلو – لا بدّ اذاً من أن يموت اخوك .

ايزابيل – هكذا ، يكون مصيري الخاسر الاصغر . فالاولى باخي أن يموت مرة خلال لحظة، ولا أن تشتريه اخته بهلاكها الابدي بعد أن تموت على الارض الف الف مرة .

انجلو – ألا تكونين هكذا قاسية كالحكم الذي تعترضين عليه بشدة ؟

ايزابيل — ان الجزية المخزية والعفو بسماحة نبيلة ، لا يتساويان بتاتاً ، والرحمة الشرعية بعيدة كل البعد عن الفداء المشين .

انجلو — كنت منذ برهة تعتبرين القانون ظالماً مستبداً لا يرحم ، وكنت تنظرين إلى جناية أخيك كأنها هفوة طفيفة لا كجرم فظيع .

ايزابيل — سامحني ، يا مولاي . يتفق لنا غالباً ، للحصول على ما نريد، أن لا نقول ما نفكر به . وأنا أغضّ الطرف قليلاً عما أكرهه لصالح ما أحبه كثيراً .

انجلو — لكن لا تنسي اننا من لحم ودم .

ايزابيل — ليمتْ أخي إذاً ، اذا كان يتحمل وحده مسؤولية الشر في الدنيا ، واذا كان هو وحده وريث الضعف البشري بين كل الرجال .

انجلو — النساء كذلك ضعيفات عاجزات عن المقاومة .

ايزابيل — أجل ، كالمرآة التي ترينا صورتنا ، وتنكسر بسهولة لأنها من زجاج . حمى الله النساء من الرجال الذين يفسدون طبيعتهن لاستغلالهن . لا يهمّ ان نُعتنا بأننا عشر مرات ضعيفات ، لأننا نحيفات نظير بشرتنا ونصدق بسهولة كل ما نسمعه من مبالغات خاطئة لا سيا في الثناء على انوثتنا .

انجلو — لا أنكر ذلك . وبما ان جنسك مفطور على هـذا ، حسب شهادتك ، وبما اني حسب افتراضي ، لست أقوى منك بنية لأقـاوم الأخطاء ، فدعيني أتكلم بمنتهى الصراحة ، وأنا متمسك بكلامك حرفياً : كوني كما انت أي بنت حواء ، وان كنت اكثر او اقـلّ من ذلك فلست اذاً امرأة . واذا كنت كما يـدل عليه مظهرك الخارجي ، فاثبتيه بارتدائك اللبوس المعدّ لك سلفاً .

ايزابيل — أنا لا أفهم الا لغة واحدة ، يا مولاي الكريم . واستحلفك بأن تعود حيالي الى لهجتك الأولى الرضية .

انجلو — لا تنسي اني أحبك .

ايزابيل — لقد أحب أخي جوليت ، وأنت تؤكد لي انه سيموت من جراء ذلك .

انجلو — لن يموت اخوك ، يا ايزابيل ، إذا منحتني حبك .

ايزابيل — أنا اعرف ان فضيلتك تتيح لك التظاهر بالرذيلة لكي تجربني كغيري .

انجلو — صدقيني ، اقسم لك بشرفي ، ان اقوالي تعبر عمـا افكر به فعلاً .

ايزابيل — لكي يقدم المرء على مثل هذا التصريح، لا بدّ من أن يكون له

قليل من الشرف و كثير من سوء النية والخساسة والمحاباة . سأفضحك يا انجلو ، فاحذر لنفسك . وقّع لي حالاً قرار العفو عن أخي ، او ارفع صوتي وأعلن للناس أي نوع من الرجال أنت .

انجلو — ومن يصدقك يا ايزابيل ؟ أنا اسمي نظيف ، ورزانة عيشي وشهادتي تدحض ادعاءك ، ومرتبتي الرفيعة في الدولة ترجح اكيداً بطلان اتهامك وافترائك عليّ ، إلى حدّ ان تختنق اقوالك بما يفوح منها من رائحة النميمة والكذب . لقد بدأت الآن ارخي العنان لحواسي الجامحة ، فسايري اشواقي الحارة ، واطرحي عنك حياءك المستعار واحمرار وجهك الذي ينبذ ظاهراً ما ألتمسه منك . يمكنك أن تشتري حياة اخيك بتسليم جسدك الناعم إلى اهواء مشاعري، وإلا لما حلت به عقوبة الموت فقط ، بل اطالت صلابة عنادك عذابه الأليم ونزاعه البطيء . اجيبيني غداً او تندمين بسبب الرغبة الشديدة التي تتملكني وتدفعني الى الظهور في نظرك كطاغية لا يرحم . اما انت فقولي ما تشائين لأن خطيئتي تعادل حقيقتك .

(يخرج)

ايزابيل - لمن اشكو أمري ؟ وإذا رويت قصتي هذه ، من يصدقني ؟ تباً لهـــذه الشفاه الرهيبة التي تتلفظ بالحكم على الإنسان بالهلاك او الافراج عنه حسب هوسها والتي يُخضع صاحبها القانون العادل لاهوائه الفاسدة،ويربط دوره المحقّ او غير المحقّ بشهواته المنحطة كأنها حجة لا تقبل النقاش والجدل. أنا ذاهبة لمقابلة أخي الذي رغم انه سقط بدافع حواسه ، فإن نفسه لا تزال شريفة. لو كان له عشرة رؤوس ليسندها على عشرة جذوع اشجار دامية ، فإنه لن يتردد عن بذلها كلها والتضحية بهـــا كي لا يدع شقيقته تستسلم إلى شخص يفيض جرمه بالفسق والفساد . اذاً عليَّ ان أظل عفيفة . وأنت يا اخي لا يسعك إلا ان تموت . لأن عفتي أغـلى من حياتك. سأخبره بما يعرضه عليَّ انجلو واعدّ افكاره لتقبّـل الموت راضياً لأجل راحة نفسه .

(تخرج)

الفصل الثالث

المشهد الاول

في السجن

يدخل الدوق لابساً ثوب راهب ، وكلوديو وضابط الشرطة

الدوق — هكذا كنت تأمل عفو السيد انجلو .

كلوديو — لا صديق للبؤساء سوى الرجاء . أنا آمل بأن احيا مع اني أستعد للموت .

الدوق — إقبل مفارقة الحياة ، وهكذا ترى الموت والحياة أحلى وأشهى على السواء . حكم عقلك في اهداف الوجود ، فإذا

طاش سهمك فقدت جوهرة غالية لا يزدري بها الا المجانين وحدهم . انت نفس تتلاعب بك كل المؤثرات المناخية التى تزيد حزنك حيثما أقمت . انت لست سوى لعبة في أيـدي شبح الموت تجتهد انـ تتحاشاه بالهرب منه ، بينما أنت في الواقـع تسرع اليه . أنت لست نبيلاً لأن جميع المتع التى ابتدعتها اساسها الانحراف . كذلك لست شهماً لأنك تخشى لدغة الثعبان الهزيل الذي يزحف اليك. النوم أفضل وسيلة لراحتك وأنت تحبه وتتمناه، وتخاف الموت كثيراً متناسياً ان النوم موت موقت . انت لست سعيداً لأنك تسعى الى الحصول على ما لا تملكه وتستخف بما انت حاصل عليه . انت لست مستقراً لأن طبيعتك تتبع تجوال القمر التائه . ولو كنت غنياً لظللت مـع ذلك فقيراً ، نظير الحمار الذي يحمل على ظهره سبائك الذهب، وأنت لا تحمل ثروتك الا مدى مرحلة واحدة فقط.انت لا اصدقاء لك لأن أحشاءك التي تدعوك أبـــاً والخليقة التي تنبثق من صلبك تلعن الأوبئة والاسقام التي لا تقضي عليك سريعـــاً . أنت لا تملك الشباب ولا الشيخوخة ، انما نظير غفوة القيلولة بعد الظهر تمثل الرؤيا بـين يديك ، لأنك رغم كل بهجة شبابك

تهرول مسرعاً نحو هرم الشيخوخة وتستعطي شفقة المقعد المشلول. وعندما تصبح غنياً عجوزاً تفقد العطف والمودّة والقوة والجمال فلا تتمتع بثرائك . فعلى ماذا تنطوي ما تدعوه العامة حياة سعيدة ؟ آهٍ من هذه الحياة التي تتفتق عن آلاف من الميتات. ومع ذلك نخشى الموت الذي يناقشنا الحساب في آخر المطاف .

كلوديو – أشكرك بتواضع لأني ألاحظ ، اذا اطلب ان اعيش ، اني على وشك ان اموت ، واذ اسعى الى الموت ، اتمتع عندئذٍ بامل الحياة . فإليَّ بالمنية اذا .

ايزابيل – (من الخارج) يا اصحاب ، ارجو ان تتمتعوا بالسلام مع نعمة الطمأنينة رفيقته الحبيبة .

ضابط الشرطة – من الآتي الى هنا ؟ ادخل . فكل التمنيات تستحق حسن الاستقبال .

تدخل ايزابيل

الدوق – (لكلوديو) يا سيدي ، سآتي لأشاهدك بعد برهة قصيرة .

كلوديو – أشكرك يا مولاي الوقور .

ايزابيل – لديَّ كم كلمة اقولها لكلوديو .

ضابط الشرطة – أهلاً ومرحباً بك . (لكلوديو) انظر يا سيدى ، انظر الى

شقيقتك .

الدوق – اسمح لي بكلمة يا ضابط الشرطة .

ضابط الشرطة – كما تشاء .

الدوق – (لضابط الشرطة بصوت خافت) دعيني اسمعها بدون ان تراني .

(يخرج الدوق والضابط معاً)

كلوديو – والآن ، يا اختاه ، بأية تعزية تأتينني ؟

ايزابيل – بتعزية ممتازة تفوق كل متعة. السيد انجلو له قضية في السماء وقد اختارك مندوباً عنه للصعود اليها من قبله كي تمثله هناك الى الأبد . لذا عليك ان تتم استعداداتك بسرعة ، لأنك ذاهب غدا .

كلوديو – أليس من دواء لهذه العلة ؟

ايزابيل – كلا . لأن هذا الدواء اذا انقذ الرأس حطم القلب .

كلوديو – هذا يعني ان هناك دواء .

ايزابيل – أجل يا اخي . انت تستطيع ان تحيا . لأن في صدر قاضيك حلم شيطاني ، اذا التمست منه الرحمة يدعك تعيش ، انما يكبلك بالسلاسل حتى المات .

كلوديو – وما هي هذه الوسيلة ؟

ايزابيل — هذه الوسيلة، اذا قبلتها،تنتزع عنك حلة الشرف وتتركك عاريا موصوما بالخجل طوال عمرك .

كلوديو — لم افهم ، اشرحي لي قولك .

ايزابيل — انا استحي منك يا كلوديو ، وارتجف من ان تحملك فكرة حب الحياة المحمومة على تفضيل ستة او سبعة أعوام من العيش في المذلة بدلاً من التكفير عن ذنبك . هل لديك الشجاعة لمواجهة الموت برباطة جاش . ان ألم المنية كامن في الخوف من شرب كاسها ، والخنفس الذى ندوسه يتحمل عذاباً يشبه ما يعانيه الجبار عند مفارقته هذه الدنيا .

كلوديو — لماذا تُسمعيني هذا الحديث الفارغ . اتعتقدين بأني استمدّ قراري من رقة الزهور وبلاغتها ؟ اذا كان لا بدّ من موتي فانا مستعد لاقتباله كما تستقبل الخطيبة حبيبها وتضمه الى صدرها .

ايزابيل — هل حقاً اسمع اخي يتكلم بهذه اللهجة ؟ هل حقاً ينبعث هذا الصوت من فم شقيقي ؟ نعم ، لا بدّ من موتك لأنك انبل من ان تتمسك بحياة فاسدة حقيرة . هذا الرجل الطاهر الذيل ظاهرا ، صاحب الوجه المتجهم والكلام الصارم يجمد فيّ حماس الشباب ويلجم طموحي،كما يسيطر

الصقر على العصفور ، هذا الرجل المتسربل بالصلاح ليس سوى شيطان رجيم . اذا جردته مما يتستر به من رجاسة تنكشف الهوة الجهنمية التي يتردى في اعماقها باطناً .

كلوديو — أهو انجلو المحترم ؟

ايزابيل — أجل ، هو لابس ثوب الخداع الذي يخفي بـه قباحة وقاره المزيّف . هـل تصدّق يا كلوديو أنه عرض عليّ أن استسلم إليه لقاء انقاذه حياتك من براثن الموت .

كلوديو — يا إلهي ، هل هذا ممكن؟

ايزابيل — نعم ، بهذا الثمن الخسيس المشين يسمح لك أن تحيا ، وعليّ أن انفذ هذه الليلة مـا ذكرته لك الآن ، وإلا كان نصيبك غداً أن تشرب كأس المنون .

كلوديو — لن تسايري رغبته الدنيئة أبداً .

ايزابيل — إذا كانت المسألة متعلقة بحياتي ، فأنا مستعدة للتضحية بهـا في سبيل خلاصك من قبضة إبليس .

كلوديو — أشكرك ، يا عزيزتي ايزابيل .

يزابيل — إذاً ، استعد لتموت غداً يا كلوديو .

كلوديو — أرى ان لشهواته أنياباً تضطره إلى نهش القوانين حين يجب عليه أن يصونها ويفرض احترامها . هذه حقاً ليست زلـّة

طفيفة بل أفظع الذنوب كلها .

ايزابيل – وما هو هذا الجرم الفظيع ؟

كلوديو – هو نحر الفضيلة وطعن ضميره حتى اني أستغرب كيف يغامر هذا العاقل الرزين بجرّ العذاب الدائم على نفسه .

ايزابيل – ماذا تقول ، يا أخي ؟

كلوديو – الموت معضلة رهيبة .

ايزابيل – والحياة الذليلة هي أفظع وأمرّ منه بما لا يقاس .

كلوديو – لكني لا افهم كيف اموت بدون ان اعلم إلى أين اذهب . ان رقادي في حفرة باردة وتعرّضي للنتانة والتفسّخ يمهّد اضمحلال هذا الجسم الحساس الذي يفيض حرارة وحركة ويحوله تراباً عفناً ، بينما الروح المحروم من النور والدفء يغرق في ظلمات الغموض، ويندثر في طيّات العدم ويتناثر في مهب الرياح العاتية بعنف ويتبعثر في ابعاد الكون المترامي الأطراف ضمن فضاء شاسع ليس له قرار ، بعد أن يرسف في اغلال البؤس والهوان وقد حكمت عليه بالهلاك زمجرات افكار شريرة مشوّهة غير شرعية . آه ، ثم آه ! هذا هائل رهيب لا يسعني أن استوعبه وأتحمله . فالحياة على هذه الأرض قاسية ، وشقاء العمر والمرض والحرمان والسجن،

وإن كانت احط مـا يمكن ان يفرض على البشر ، هو جنة بالنسبة إلى هلعنا من شبح الموت .

ايزابيل – أنا آسفة ، وليس باليد من حيلة .

كلوديو – يا اختي العزيزة ، ابقيني على قيد الحيـاة . فالخطيئة التي ترتكبينها لإنقاذ اخيكِ من الموت تسمح بها الطبيعة بـل تعتبرها فضيلة .

ايزابيل – يا لك من فظّ جبان ، يا لك من خسيس عـديم الشرف . أتريـد أن تحتفظ بحياتك على حساب خطيئتي وهلا كي ؟ أوليس نوع من الزنى أن يعيش المرء على حساب تلطيخ جبين شقيقته بالعار والهوان . ما هـــذا التفكير الشاذ ؟ سامحني ، يا إلهي . هل كانت امي تخدع أبي ؟ أنا لا أتصور أن سفالة أوقح من انحطاط كهذا يمكنها أن تنبثق من دمه. أنا أرفض ما تطلبه مني . عليك أن تهلك وتموت . عندما انحدر إلى مستوى ما سبب لك هـذا المصير ، سادع الأمور تأخـــذ مجراها ، وسأتلو ألف صلاة على قبرك ، لكني لن أنبس ببنت شفة لأنقذ حياتك بتضحية كرامتي .

كلوديو – أرجو منك أن تصغي إليّ ، يا ايزابيل .

ايزابيل – سحقاً لك . لأن الرذيلة عندك ليست عارضاً طارئاً بـل

ممارسة مألوفـة . وأرى أنك لن تتورع عن تسخير شفقتي لأغراضك الخبيثة . فالأفضل لك إذاً أن تموت .

(تتأهب للخروج)

كلوديو — أتوسل إليكِ أن تصغي إليَّ ، يا ايزابيل .

(يدخل الدوق ويتبعه ضابط الشرطة)

الدوق — لديَّ كلمة ، أيتها الصبية ، كلمة واحدة أقولها لك .

ايزابيل — ماذا تريد ؟

الدوق — إن كان لديكِ وقت فراغ، أودّ أن أتحدث إليك الآن قليلاً. والمسالة التي سأفاتحك بها هي حتماً لصالحك .

ايزابيل — ليس لديَّ وقت فراغ زائد . فالدقائق التي أخصك بهـــا سآخذها من مسائل أخرى . لكني أريـد أن استمع إليك هنيهة .

الدوق — (لكلوديو بصوت خافت) : يا بنيّ ، لقد سمعت مـــا دار بينك وبين اختك من نقاش . فإن انجلو لم يخطر بباله أبداً أن يغويها ، بل شاء أن يمتحن فضيلتها ليوقن من حكمه في درس الطبيعة البشرية . هو يعتصم بمشاعر الشرف الأصيل وهي من جهتها رفضت مطلبه، فقدّر اقتناعها ونظر إليها بعين الاعتبار . انا اعرف انجلو وأثق بإدراكك هـــذه

الحقيقة الساطعة . فاستعدّ أنت للموت ، ولا تخدع ذاتك بأمل خلاب. غداً عليك أن تموت،فاركع لأمنحك البركة.

كلوديو – دع اختي تسامحني، فأنا مللت من الحياة إلى درجة إني بت أتمنى الخلاص منها .

الدوق – ثابر على هذا التفكير . الوداع (يخرج كلوديو) أيها الضابط ، كلمة من فضلك .

ضابط الشرطة – ماذا تريد مني ، يا محترم .

الدوق – أن تنسحب حالما تصل هذه العذراء . دعني أنفرد بها . فإن طبيعة رسالتي الدينية كما يدل ثوبي ، لا يدع مجالاً لأن ينوبها بصحبتي أي أذى .

ضابط الشرطة – لحسن الحظ .

(يخرج)

الدوق – ان اليد التي منحتك هــــذا الجمال زوّدتك بالفضيلة التي تنسجم وهذه الروعة جاعلةً سحر الجمال عابراً . إنما جمال النفس الذي يحلّي شخصيتك يزيّن أيضاً جسدك باستمرار لقد شاءت الظروف ان اطلع على ما قابلك بــــه انجلو من مضايقات ، ولو لم يقــــدم الضعف الإنساني عدة أمثلة في الماضي على مـا يشبه هذا الانحطاط ، لأدهشني حتماً وضع

انجلو الشاذ . فكيف تستطيعين أن تتصرفي بشكل يرضي هذا المسؤول وينقذ حياة أخيك ؟

ايزابيل – ساعلمك في الحال . أفضّل لأخي موتاً قانونياً على أن ألد ابناً غير شرعي . لكن يؤسفني أن أقول ان دوقنا الكريم مخدوع في تقديره انجلو كل هذا التقدير ومنحه ثقته الغالية. فإن عاد ، وتمكنت من محادثته ، فإما أن يذهب كلامي ادراج الرياح ، أو ان انتزع القناع عن وجه هذا المستبد اللئيم .

الدوق – لن يكون سعيك باطلاً . إنما حيث هي الأمور حالياً أرى انجلو بعيداً عن ان تناله اتهاماتك ، لأنه يستطيع أن يدعي انه كان يجربك . لذا يجمل بك أن تصغي لرأيي. أنا أرغب في عمل الخير ، فخطر ببالي هذا الحل. اعتقد بأنكِ مستعدة لصنع معروف مشكور تستحقه كل امرأة مظلومة ، ويساعدك على انقاذ حياة أخيك من غضبة القانون ، ويقي شخصك من كل عار ويرضي الدوق الغائب إذا علم عند رجوعه بتفاصيل قضيتك .

ايزابيل – أشرح لي المسالة . فأنا مستعدة لعمل كل ما بوسعي بشكل لا يسيء إلى طهارة نفسي .

الدوق – الفضيلة جريئة والشرف لا يهاب المنايا . ألم تسمعي أحداً يتكلم عن مريان اخت الربان فريدريك الذي ابتلعته أمواج البحر .

ازابيل – لقد بلغتني أخبار هذه السيدة التي ترفع الرأس .

الدوق – كان انجلو مزمعاً أن يتزوجها ، بعد أن خطبها وعيّن يوم الزفاف . في تلك الأثناء غرف فريدريك ، وبائنة اخته التي كانت في حوزته غاصت في اللجة مع السفينة . فلك أن تتصوري كم شقيتْ هذه الآنسة على أثر الحادث الأليم ، إذ فقدت أخاً نبيلاً لامعاً كانت تحبه كثيراً وكان يحيطها بكل عطف وحنان ، ومعه خسرت بائنتها التي تؤلف كل ثروتها ، وانهار الزواج الذي أوشكت أن تعقده ، لأن خطيبها اللئيم الغادر تخلى عنها .

ازابيل – هل من المعقول أن يتخلى عنها انجلو هكذا ؟

الدوق – أجل ، تركها تستسلم إلى دموعها بدون أن يوجه إليها أية كلمة عزاء ، وحنث بوعده بحجة أنه اكتشف حفايا غير مشرفة في سلوكها . بالاختصار هجرها فاستولى عليها الحزن والأسى الذي لا تزال تئن تحت وقره بسبب ما كانت تكنّه له من الحب بصفته خطيبها ، وظل قلبه كالصخر

الأصم لا يلين امام نحيبها ولا يشفق على مصيرها البائس .

ايزابيل – ما أكرم الموت الذي يخلص مثل هـذه الفتاة المسكينة من مصابها،وما أقسى الحياة التي تسمح لمثل هذا الرجل الجائر أن يعيش خالياً من الهموم. لكن أية عبرة وأية فائدة يسعها أن تستخلص من هذه المأساة؟

الدوق – هذا السلوك ، معالجته ممكنة . وهـذا الدواء ينقذ اخاك ، ويقيك شر العار .

ايزابيل – أرني كيف يتم ذلك ، يا أبتِ .

الدوق – ان الفتاة التي حدثتك عنها قـد احتفظت في أعماق قلبها بعودتها الأولى . مع ان هـذه الخطة العسيرة المؤلمة ، حسب المنطق السليم، تستوجب نضوب حبها وتقلّص اخلاصها، لم تزده كالصخرة القائمة سداً أمام السيل،إلا عنفاً وشراسة أطارت صوابه . اذهبي وقابلي انجلو ، واستجيبي توسلاته باذعان مموّه ، واقبلي بتلبية رغبته حتى النهاية . وكضمانة لكي تنيليه مبتغاه ، إفرضي عليه هـــذه الشروط : أن لا يطول انفراده بك ، وأن يكون الموعد سراً بعيداً عن كل ضجة ، وأن يحدد المكان المناسب من كل الوجوه . فعندما تكتمل هذه العناصر تتبعها بقية التفاصيل . أنا أنصح هذه

الفتاة المظلومة بأن تحصل على الموعد وتذهب عوضاً عنك. فإذا افتضح سرّ هـذه المقابلة فيما بعد ، اضطر انجلو إلى التعويض عليها ، وبهـذه الطريقة يخلص شقيقك ويُصان شرفك وتكون مريان راضية وينتزع القناع أخـيراً عن وجه هـــذا الرجل المفسد المضلّـل . ساعلم الصبية بذلك وساهيئها لهـذه المحاولة . وإذا عرفت كيف تصلين بالقضية إلى النهاية المرجوّة ينجم عنها غفران مزدوج لهـذه الدناءة والحقارة . فما رأيك بذلك ؟

ايزابيل – الفكرة تعجبني كثيراً . ولا أشك بأنهـا ستفضي إلى الغاية المنشودة بنجاح .

الدوق – معظم تنفيذ العملية بين يديك . اسرعي إلى انجلو . فإذا التمس موافاتك إلى سريره هـذه الليلة ، يمكنكِ أن تعديه بتلبية طلبه. أنا ذاهب إلى مدينة « سان لوك » حيث يقوم قصر منفرد تقطنه مريان . فوافيني إلى هناك بعـــد أن تعجلي في الانتهاء من لعبة انجلو بسرعة .

ايزابيل – أشكرك على هـذا التدبير المنقذ . الوداع يا أبتِ الجليل .

(يخرج كل واحد من ناحية)

المشهد الثاني

أمام السجن

الدوق المتخفي بثوب راهب يلتقي بكود وبومبي وبعض أفراد الشرطة

كود – لا سبيل إلى منعك من شراء الرجـــال والنساء وبيعهم كالبهائم . لأن كل الناس يشربون النبيذ الاحمر أو الابيض.

الدوق – يا إلهي ! ما هذا الخليط ؟

بومبي – لم يعد الاهتمام بالناس يسلّي منذ ان لحقت الخسارة بأحـد المرابيَيْن الاثنين نظراً لكون المرابي الثاني المؤذي قـــد سمح له القانون بـــأن يلبس ثوباً مبطناً بفراء الثعلب والخروف ، لتامين دفا أكثر . وهذا يعني ان للاختلاس ، وهو أطول باعاً من البراءة، حقاً مضموناً باتخاذ الشعارات.

كود – تقدم يا سيدي . بارك الله همتك يا أبتِ .

الدوق – وبارك الله همتك أيضاً يا أخي . أية إهانة وجهها إليك هذا الرجل الشرير ؟

كود – يا سيدي ، يكفي أنه داس القانون . ويخيّل إليّ أنه سرق أيضاً ، لاننا لقيناه برفقة لص ، ووجدنا معه مفتاحاً غريباً غير مألوف أرسلناه إلى ضابط الشرطة .

الدوق – تباً لك من غبي مغفل دنيء . أرى أن الشر الذي تنوي عمله هو مصدر رزقك . هل تفكر كيف يتسنى لحصول هـذه الرذيلة الذميمة أن يملأ البطن ويكسو البدن ؟ ستقول لي : من الملامسات البهيمية البغيضة ، آكل وأشرب وألبس وأعيش . أو تظن أن الإنسان يحيا عندما يؤمّن هـــذه الضرورات البذيئة ؟ هيا أصلح نفسك ، أقول لك أصلح نفسك .

بومي – في الواقع يا سيدي ، هي تُحطّ القـدر قليلاً . لكني سأثبت لك ...

الدوق – إذا كان الشيطان يمدّك بالبراهين للقبول بالخطيئة فهو أكبر دليل على أنك ستكون من زبانيته . أيها الشرطي خذه إلى السجن . فالتأديب والتحقيق لا بدّ من يقوما على قـــدم وساق قبل أن يتم أي إصلاح .

كود – عليه أن يمثل أمام نائب الدوق الذي وجّه إليه انذاراً . ونائب الدوق هذا لا يتساهل ازاء نذل نظيره . فإذا كان قوّاداً يحمي العاهرات ويمثل أمامه ، يحسن به أن يقوم بعمله غير الشريف على بعد أميال من هنا .

الدوق – أتمنى أن تكون كما يود البعض ، خالين من النقائص ، على الأقل بدون رياء .

(يدخل لوسيو)

كود – سيُعلّق حبل المشنقة في عنقه كما يطوق هذا الحبل خصرك يا سيدي .

بومبي – (يتعرّف على لوسيو) : ها أنا أبصر بأم عيني من يساعدني على محنتي، وألتمس منه العون. فهذا الوجيه من أصدقائي.

لوسيو – هيا يا بومبي الكريم ، أخبرني ماذا جرى لك؟ هل حالفك الحظ لتتهادى هكذا بخيلاء ؟ أولم يبقَ من ديّان للحرباء بكماليون التي أصبحت منذ هنيهة امرأة يحصل الرجل عليها بتجرد وضع يده في جيبه وسحبها بتشنج ليرنّ فلوسه . ما هو ردّك يا هذا ؟ ما رأيك بهذه اللهجة المتحدية وبهذه الخيانة ، وبهذا الكيل الطافح ؟ هل اختنق صوتك عند هبوب العاصفة مؤخراً ؟ ما قولك أيها المحتال ؟ ألا

يزال العالم اليوم كما كان في الماضي مراوغاً ؟ ما هذا التفكير الذي يجعل المرء حاقداً مناوئاً ؟ اطلعني على الاتجـاه السائد في هذه الآونة .

الدرق – هو ، هو ، كما كان على الدوام ، بـل ينتقل اليوم من سيء إلى أسوأ .

لوسيو – كيف حال عشيقتك يا عزيزي . ألا تزال مفتوحة الشهية ؟

بومبي – صدقني ، يا سيدي ، لقد التهمت فخذاً بكامله . لكنها ما عتمت ان لجأت إلى الحمية .

لوسيو – هذا صحيح،لا مناص منها، ولا بدّ من اللجوء إلى مكرها. هي عاهرة متأنقـــة وقوادة متبرجة معطّـرة ، لذا ترى النتيجة باهرة، لا ريب فيها. ستدخل السجن إذاً يا بومبي؟

بومبي – أجل يا سيدي .

لوسيو – لا بأس عليك . الوداع ، يا بومبي . إذهب وقل لهـــا إني أرسلك إليها ، ربما لأجل وفاء ديونك . هل تعرف هي في الحقيقة ، لماذا ؟

كود – لأجل تشجيع مسعاها وتسهيل الدعارة مهنتها الرابحة .

لوسيو – في هذه الحالة ، اسجنوه . فـإذا كان السجن اجرة القواد ، فهو يستحقها بدون مناقشة . لا شك في أنه قوّاد عتيق في

مهنته أي منذ ولادتـــه . الوداع يا بومبي الماكر . تهانيَّ بسجنك الذي ستلازمه زمناً طويلاً .

بومبي – آمل أن تكفلني يا صاحب السيادة وتساعدني على مغادرته قريباً .

لوسيو – لا ، حقاً يا بومبي . ليس من المألوف أن يطول حجزك هنا إذا تصرَّفت طبعاً بروية . لأنك حادُّ الطبع . فالوداع يا بومبي المسكين . (للدوق) الله معك أيها الأخ .

الدوق – ومعك أيضاً .

لوسيو – ألا تزال بريجيت تداري نفسها ، يا بومبي ؟

كود – (لبومبي) سرْ في سبيلك ، يا سيدي ، سرْ .

بومبي – (للوسيو) أنت لا تريد إذاً أن تكفلني ، يا سيدي ؟

لوسيو – والآن يا بومبي ، ألا تزال على موقفك ؟ (الدوق) ما هي أخبارك عن هذا العالم يا أخي ؟ ماذا في الدنيا من جديد ؟

كود – (لبومبي) سرْ يا سيدي ، قلت لك سرْ في سبيلك .

لوسيو – إذهب يا بومبي البطيء (يخرج بومبي و كود ورجال الشرطة) ما هي أنباء الدوق أيها الأخ ؟

الدوق – لست أدري . ألديك أنت من أخبار عنه لتعلمني بها ؟

لوسيو – يقول البعض أنـه ذهب إلى قيصر روسيا والبعض الآخر

إلى روما . لكن إلى أين تظنه أنت قد مضى ؟

الدوق – لست أدري . فأينما كان أتمنى له النجاح والانشراح .

لوسيو – أيّ هوس ، وأية غاية في النفس حملته على الهرب من منصبه ودولته وعلى تركها لمغتصب شرير ليس الحكم مهنته ولم يخلق له. لقد تسلط السيد انجلو كما يحلو له في غيابه وتعدّى جميع حدود صلاحياته .

الدوق – أولاً يحكم بعدل ودراية ؟

لوسيو – لا ، ما دام لا يسوؤه أبداً أن يظهر كل التساهل في قضايا الدعارة . فهو كثير التشدد في غير هذا الموضوع بنوع خاص،ياأخي.

الدوق – هذه آفة عامة ولا بدّ من معالجتها بصرامة وحزم .

لوسيو – نعم ، هي رذيلة لها عدد وافر من الأنصار والمجندين ، ويستحيل استئصالها تماماً ، أيها الأخ ، بدون تحريم الشرب والأكل . وكان أنجلو ليس ابن رجل وامرأة ، جاء هذا العالم خلافاً للطرق العادية . هل تصدق كلاماً كهذا ؟

الدوق – كيف إذا جاء إلى هذه الدنيا؟

لوسيو – يقول البعض ان عروس بحر قد أتت به مثل السمك ، والبعض الآخر أنه انبثق من حوت ناشف اللحم . لكن

الأكيد هو أنه جاف الطبع محدود النظر ، وأنا أعرفه حق المعرفة . ثم هو رجل غير نافع، لا سبيل إلى نكران عقمه.

الدوق – أنت مضحك ، يا سيدي ، وكأنك تتحدث عن اقتناع .

لوسيو – هو شرس ، ولأجل قضاء حاجة طبيعية حكم على إنسان بالاعدام . فهل كان الدوق الغائب الآن ، يتصرف هكذا ؟ عوضاً عن معاقبة رجل تسبب في مولد مئة لقيط ، كان دفع اجرة رضاعة الف لا مئة . وهو خبير في هذه الأمور ويعرف ما تقتضيه من مسؤولية ، وكان عنوان التساهل والسماح .

الدوق – لم اسمع في حياتي ان الدوق الغائب كان هكذا مشبوهاً في موضوع النساء إذ كان ذوقه بعيداً عن أن يحفظ لهنّ أي استلطاف .

لوسيو – أنت مخطىء يا سيدي .

الدوق – لم يكن أبداً على هذا الحال .

لوسيو – من تعني؟ الدوق ؟ حتى متسولة في الخمسين من عمرها لم تنجُ من شره . وكان من عادته أن يضع لها ليرة ذهبية في كشكولها المفتوح حسب العادة . صدقني . كان للدوق ميل جارف ... وكان يسكر غالباً أرجو أن تصدّقني لأني عالم

بجميع أحواله.

الدوق – أنت تهينه هكذا .

لوسيو – كنت صديقه الحميم ، وكان رجلاً خبيثاً وأنا أعرف سبب اختفائه .

الدوق – أرجو منك أن تعلمني بما عسى أن يكون السبب .

لوسيو – لا ، العفو . هذا سرّ عليّ أن أصونه في صدري. إنما اسألك أن تجيبني بصراحة : هـــل ان معظم رعايا الدوق حقاً يعتبرونه رجلاً حكيماً ؟

الدوق – حكيماً . طبعاً كان كذلك ، بدون شك .

لوسيو - بل هو رجل سطحي ، جاهل ، غبي ، بعيد كل البعد عن التبصر والرزانة .

الدوق – رأيك هذا ناجم عن حسد وحماقة وكراهية . لأن اسلوب حياته وطريقة حكمه لا بدّ من أن تضفي على شخصه صيتاً أفضل ممـــا تنعته أنت به . يجب أن نحكم عليه من خلال أعماله ، ونقرّ بأنه عالم فاضل ورجل دولة أصيل وجندي شجاع . أمـا كلامك عنه فهو أكبر دليل على جهلك ، وإن كنت عارفاً حقاً بجوهر الأمور ، فسوء النية يعمي بصرك وبصيرتك .

لوسيو – أنا أعرف الدوق وأحبه ، يا سيدي .

الدوق – الصداقة تتحدث بمعرفـة مخلصة ، والمعرفة النزيهة الأمينة كلها صداقة ووفاء .

لوسيو – يا سيدي ، انا أعرف تماماً ما أعرف .

الدوق – أكاد لا أصدق قولك هذا ، لأنك لا تدرك ما تقول . ولكن عند عودة الدوق قريباً ، كما نطلب ذلك في صلواتنا ، كن على يقين بأنك ستكون مسؤولاً أمامـه عن كل ادعاءاتك . فإذا كنت تنطق بالصواب فستؤكد كلامك بشجاعة، لأني سأجبرك على ترديد أقوالك . فهل لي أن أعرف اسمك ؟

لوسيو – أنا ادعى لوسيو . والدوق يعرفني جيداً .

الدوق – سيعرفك أحسن يا سيدي ، إذا أمـدّ الله عمري لأعرض أمرك عليه قريباً .

لوسيو – أنا لا أخشاه مطلقاً .

الدوق – أنت تأمل بـأن لا يعود الدوق ، أو انك لا تحذره كخصم قوي . في الواقـع ، أنا لا استطيع أن أُلحق بك أي أذى ، لأنك ستحلف بأنك لم تنبس ببنت شفة .

لوسيو – فلأشنق إذا اقسمت على مـا تدعي . أنت واهم في ظنك بي أيها الراهب . لكن دعنا من هذا الحديث. هل لك أن تؤكد

لي ان كلوديو سيعدم غداً أم لا ؟

الدوق — لماذا يُعدم يا سيدي ؟

لوسيو — لماذا ؟ لأنه ملأ قنينة بواسطة قمع . اودّ أن يكون الدوق قد عاد . لأن هذا الحاكم العاجز ، سيمحق سكان المنطقة لشدة ما يفرضه عليهم من العفة المترمّتة . هو لا يريد ان تملأ العصافير اعشاشها فراخاً بحجّة ان ضجة الطيور مزعجة . على الأقل سيلاحق الدوق علانية ما يتم عادة في الظلمة من قبائح ، وحتماً يسلط عليها الأنوار . حقاً اود أن يكون الدوق قدْ عاد. لهفي على كلوديو ، فقد حكم عليه لأنه أراد أن ينال نصيبه من المتعة . وداعاً أيها الراهب . ارجو منك ان تصلي لأجلي . اكرر عليك ان الدوق كان يأكل لحم الخروف يوم الجمعة . وقد مضت ايامه الآن . مع ذلك اصرح لك أنه لن يتورع عن الاتصال بأية امرأة مستهترة ، إن فاحت منها رائحة الثوم او الحمّة والعفن . قل إني رويت لك كل ذلك . الوداع .

(يخرج)

يدخل اسكالوس وضابط الشرطة والسيدة المرهقة وبعض رجال الشرطة .

اسكالوس — هيا خذوها إلى السجن .

السيدةالمرهقة— يا مولاي الكريم ، إليـــك اتوسل ان تكون طيب القلب نحوي ، يبدو عليك انـــك رحوم يا صاحب السعادة ، يا مولاي الكريم .

اسكالوس — بعد التحذير مرتين او ثلاث مرات اجدك قـد عدت إلى ارتكاب الذنب عينه . وهـــذا يكفي لجعل الشفقة تكفر وتصبح طاغية بحق امثالك .

ضابط الشرطة— هي قوّادة تمارس مهنتها منذ إحدى عشرة سنة .

السيدةالمرهقة — يا مولاي ، هـــذه نميمة يلصقها بي شخص أسمه لوسيو . فالسيدة الولاّدة ، كانت حبلى منه منذ عهد الدوق لأنـــه وعدهـا بالزواج وأخلف بعهده . وأنا آويتها في بيتي على الرحب والسعة . فانظر كيف تقع عليّ التهم وتلصق بي اشنع النعوت .

اسكالوس — جيئوني بهذا الولد الطائش المحتال . وخذوا هذه المرأة إلى السجن . هيا اخرجي بدون ان تلفظي كلمة واحـــدة . (يخرج رجال الشرطة ومعهم السيدة المرهقة) يا ضابط الشرطة، زميلي انجلو لا يلين ، وسيموت كلوديو غداً. اجلبوا له من يعدّه للموت ويقدّم له كل النصائح التقوية. فلو اقتدى زميلي

بشفقتي على كلوديو ، لما كان هكذا حال هذا الأخير .

ضابط الشرطة – (يشير إلى الدوق) هـا هوذا الراهب الذي زاره وواساه وهيّـأه لاقتبال الموت .

اسكالوس – (للدوق) مساؤك سعيد ، يا ابتِ .

الدوق – منَّ الله عليك بالرعاية والبركة .

اسكالوس – من اين انت ؟

الدوق – أنا لست من هذه الديار، مع ان نصيبي يدعوني إلى السكن هنا بعض الوقت . فأنا عضو في رهبنة كبيرة وقـد قدمت حديثاً من روما بمهمة خاصة كلفني بها قداسته .

اسكالوس – في هـذه الأيام ذهبت الفضيلة ضحية العنف وامست اسيرة الانحطاط فصار المستجدّ من الأخـلاق شغلي الشاغل ، لأن هناك خطراً يهيمن على المرء من جراء عـادات بعيدة عن سمو الأهداف الإنسانية تجعله غير مستقر في أي عمل وأي حال . أمـــا المروءة فاضحت نادرة وبات من الصعب على المجتمع ان يعيش بأمـان واطمئنان . كما ان هناك عوامل تدفـع المرء إلى الضياع وإلى الابتعاد عن الإلفة والتضامن . والعلم في ايامنا الحاضرة انصبّ على معالجة هـــذه المسائل الحيوية المتداعية ، وقـد بات عاجزاً عن معالجتها بفعالية

لمنع تفاقمها . اخبرني كيف كانت طبيعة الدوق ؟

اسكالوس — كان رجلاً يحاول ، بنوع خاص وقبل كل شيء ، ان يترفع فوق امور الدنيا .

الدوق — وما كانت أهدافه ؟

اسكالوس — ان يرى الناس سعداء . وكان هـــذا يسرّه اكثر مما كانت تطربه الملاهي المبتكرة لارضائه. كان نبيلاً متّـزن المزاج. لكن ، لندعه وشأنه ، متمنين له الهناء ، واسمح لي بأن اسالك كيف وجدت احوال كلوديو ؟ قيل لي انك سمحت له بزيارة .

الدوق — لقد اعتبر حكم القاضي غـــير جائر ، فرضخ بكل تواضع للعدالة ، مع انه بايحاء نزقه ، إنساق وراء اوهـــام عديدة جعلته يأمل بـأن يعيش . فتمكنت من اقناعه بالعكس ، بفضل إلحاحي عليـــه للتفكير عن آثامه ، فرضي بتقبّـل الموت عقاباً على ما جنت يداه .

اسكالوس — انت اتممت رسالتك حيال الخالق وقمت بواجب وظيفتك نحو المسجون . فتشفعت بالوجيه المسكين حـــتى آخر امكاناتك المعتدلة . لكني وجدت القاضي قاسياً جـداً ، يا صديقي ، فاضطررت إلى الثناء عليه قائلاً انـــه عنوان

العدالة والنزاهة .

الدوق — إذا كانت حياته تنطبق على مقتضيات وظيفته ، يجدر بـه ان يكون صارماً . لكنه متى ادرك ضعفه ، حكم على نفسه بالهلاك .

اسكالوس — انا ذاهب لأزور المسجون ... فالوداع .

الدوق — رافقتك السلامة (يخرج اسكالوس وضابط الشرطة) من اراد ان يضرب بسيف العدل عليه ان يكون مثاليّاً بقـدر ما هو منصف،وعليه ان يجد في ضميره روح العصمة والفضيلة كي يتمكن من اداء رسالته على اكمل وجـه . وعليه أيضاً ان ينظر إلى استحقاق الآخرين ليتبيّـن الحق من خـلال ضعفه هو . وليعاقب جدياً بإنزاله عقوبات صارمة بمرتكبي الذنوب التي يعفّ هو عنها . ارجو ان يلحق عـار مثلّـث بأنجلو هـذا الذي يغربل معايبي ومعايب الناس ، ويدع نقائصه تصول وتجول على هواها . كيف يسع هـذا الرجل الشرير أن يخفي قبائحه خلف مظاهر الملاك الطاهر . فكما يتوصل الرياء الغائص في لجة الاجرام إلى خداع العالم يتسنى له ان يوقع في حبائـــله الشبيهة بخيوط العنكبوت اسمى المبادىء والمقاصد الخيّـرة . ولكي نحارب الرذيلة ، لا بـدّ

لنا من أن نلجأ إلى الحيلة . سينام انجلو هـــذه الليلة عند خطيبته القديمة . لكنه بسبب ما يغلي في صدره من مراجل الغيظ ، راح يفضل هـــذا التفكير ، وأخذ طيشه يحالف الخباثة المعشعشة في صدره ، ولؤمـه يطغى على ارتباطاته القديمة .

(يخرجان)

الفصل الرابع

المشهد الأول

عند مريان

مريان جالسة ، وغلام ينشد إلى جانبها

الغلام — أطبق هذه الشفاه وعِدها
وابحث عن نفسك تجدها .
هذه اشعة الفجر تطل عليك
وأنوار الشمس تملأ عينيك .
لكن ردّ لي قبلاتي

رد لي أحلى سنواتي .
ان أجنحة الهوى مكسورة
ألا أنعش نفسي المقهورة .

مريان – كفّ عن غنائك يا هـذا ، وانسحب سريعاً . فقد أقبل من يعزّيني ويكفكف دموعي ويخفف آلامي .

(يدخل الدوق بلباس راهب)

أنا التمس غفرانك يا مولاي . كنت أتمنى أن لا تجدني منشغلة بالموسيقى والغناء . دعني اعتذر لك واعترف بـان مرحي يجتاحه الحزن كلما حاولت كآبتي أن تبتهج .

الدوق – حب الموسيقى من اروع التسليات ، وإن تكن الأنغـام أحياناً عاملاً فعالاً على تغيير الخير إلى شر ، وتحريض الخير على الشر أحياناً أخرى . أرجو منك أن تخبرني هـل أتى اليوم أحد يسأل عني؟ هذا هو الموعد الذي حددته تقريباً .

مريان – لم يسأل أحد عنك اليوم ، وقد مكثت هنا طوال النهار .

(تدخل ايزابيل)

الدوق – أنا أصدقك ، أيتها الفتاة الوفية . ها هوذا الوقت قد حان. استحلفك بكل عزيز أن تنسحبي لحظة، إذ ربما استدعيك بعد برهة لأمر يهمك كثيراً .

مريان – أنا شاكرة أفضالك على الدوام .

(تخرج)

الدوق – (لإيزابيل) ها قد اجتمعنا في الوقت المناسب ، فأهلاً بك . ما وراءك من الأخبار عن نائب الدوق هذا ؟

ايزابيل – (في يدها مفتاحان) حديقته مسوّرة بالقرميد ، وجانبها الغربي يطل على كرم عنب، فيه عريشة من قضبان حديدية يفتح بابها هذا المفتاح . أما المفتاح الثاني فيخصّ باباً صغيراً يفصل بين الكرم والحديقة . فإلى هنا وعدته بأن أوافيه عند منتصف الليل الحالك السواد .

الدوق – وهل ستهتدين بسهولة إلى الطريق ؟

ايزابيل – لقد تفحّصت الدرب بدقة بعد ان دلني مرتين ، متمتماً بلهجة عابثة وحركة واضحة المعاني والمرامي، على الطريق الذي عليّ أن اسلكه لأصل إليه .

الدوق – أوليس من اشارات خاصة جرى عليها الاتفــاق بينكما لتتقيّد بها مريان ؟

ايزابيل – كلا ، لا يوجد ، إلا الاتفاق على إتمام المقابلة في عتمة الليل ، وعلى اختصار اجتماعنا ، حسب إلحاحي ، بأقصر مدى ، لأني نبّهته إلى ان خادمةً سترافقني في مجيئي إليــه

وستنتظرني لتعود بي ، وقـــد أقنعتها بأني آتي لمقابلته بحجة انقاذ أخي .

الدوق – هذا تدبير محكم . أنا لم أُعلم مريان بشيء من ذلك . (ينادي) يا أصحاب ، هل تسمعونني ، هيا عودوا إليّ .

(تدخل مريان)

الدوق – (يقدم إيزابيل لمريان) أرجو أن تربط الصداقة بينكما ، لأن هذه الفتاة تأتي لفائدتك .

ايزابيل – مودّتها من أحلى أمنياتي .

الدوق – (لمريان) هل أنت مقتنعة بأني لا أريد إلا صالحك ؟

مريان – أجل، أيها الأخ الوقور. أنا واثقة وخبرتي في الحياة تؤكد لي ذلك .

الدوق – امسكي إذاً بيد هذه الرفيقة فهي مزمعة أن تهمس في اذنك كلاماً يعجبك ويفرحك . سأنتظرك على مقربة من هـذا المكان إنما اسرعي في موافاتي ، لأن الليل يوشك أن يولّـي.

مريان – (لإيزابيل) هل لكِ أن تقومي بدور ما ؟

(تخرج مريان ومعها إيزابيل)

الدوق – يا إلهي ، ان ملايين العيون ترمقني وهناك تقارير عديـدة تمـلأ مجلدات تتضمن تعليقات خاطئة متناقضة تدور على

أحداث جسيمة وألوف الأهواء تدّعي أنك مصدر احلامها الباطلة وتحوّر أفكارك كما يحلو لها .

(تعود مريان ومعها إيزابيل)

أهلاً ومرحباً بكما . ماذا قررتما ؟

ايزابيل – لقد تعهدتُ بانجاز المهمة ، يا أبتِ ، إذا كنت تشجعها على القيام بها .

الدوق – أنا لا أحرّضها فقط ، بل ألتمسها منها التماساً .

ايزابيل – عليك أن تقلّلي معه كلامك . إنما عندما تغادرينه اسمعيه هذه العبارة برقةٍ وصوت خافت حنون : « والآن تذكّر أخي » .

مريان – لا تخافي ولا تقلقي ، فكل شيء يسير على ما يرام .

الدوق – وأنت أيضاً يا ابنتي اللطيفة، لا تخشي أي شرّ . هو زوجك بموجب عقد قانوني . فإذا مسّكِ ، فلن ترتكبي أية خطيئة أو ذنب ، لأن حقوقك عليه تبرر تماديه معك . هيا نذهب ونحصد غلة جهودنا ، إنما علينا أولاً أن نلقي بذورها .

(يخرجون)

المشهد الثاني

في داخل السجن

يخيم الليل ، يدخل ضابط الشرطة وبومبي

ضابط الشرطة - تعال إلى هنا ، أيها الغبي . هل أنت قادر على قطع رأس رجل ؟

بومبي - نعم يا سيدي . إذا كان الرجل عازباً . أما إذا كان متزوجاً فهو رأس امرأته ، وأنا غير قادر على قطع رأس امرأة .

ضابط الشرطة - هيا ، يا سيدي ، كفّ عن نكاتك ، واعطني جواباً سديداً . غداً صباحاً لا بدّ لكلوديو وبرنردان من ان يموتا . لدينا في السجن هنا منذ عام ، جلاّد يحتاج للقيام بوظيفته إلى مساعد . فإذا كنت مستعداً لأن تمدّ له يد العون ، فعملك هذا يسهّل لك التخلّص من قيودك ، وإلا اكملت مـــدة

سجنك حتى آخر يوم ، ولن يفرج عنك إلا بعد ان تنال نصيبك من الجلد بالسوط،لأنك فيالواقع قوّاد ماكر خطر .

بومبي – انا تعاطيت هـذا العمل ، يا سيدي ، بصورة غير شرعية منذ زمن بعيد. ولن يضيرني أبداً ان أوافق على استخدامي كجلاّد شرعي . ويسرني ان يزوّدني زميلي بالتعليمات اللازمة .

ضابط الشرطة – (ينادي) تعالَ يا ابورسون . أين ابورسون ؟ هـل أنت هنا ؟

(يدخل ابو رسون)

ابورسون – أتناديني ، يا سيدي ؟

ضابط الشرطة – أجل يا مغفل . هــذا الشقي سيساعدك في تنفيذ احكام الإعدام غـداً . فإذا وجدته مناسباً اتّفقت معه على الأجر السنوي ، واسكنته هنا معك . وإلا استخدمته هـذه المرة ثم صرفته. وهو لن يناقشك فيفظاعة عملك لأنه كان قوّداً.

ابورسون – قوّاداً ، يا سيدي ؟ سحقاً له سينجّس فنّـي .

بومبي – يا سيدي ، لديّ سؤال وجيه اطرحه على شخصك الكريم، لأنك رغم كل مـا يبدو عليك من سحنة مقلقة اری ان لك شخصية مميزة . هل تسمي مهنتك فنّـاً ؟

ابورسون — نعم يا سيدي ، هي فنّ .

بومبي — لقد سمعت ، يا سيدي ، ان الرسم فنّ . لكن عاهراتك ينتمين إلى مهنتي انا . وبما انهن يمارسن الرسم ، فهذا اقوى دليل على ان مهنتي فنّ لكن أين الفن في تعاطي اعـــداء الناس ؟ لأشنق انا ، إذا كان كلامي غير معقول .

ابورسون — أجل يا سيدي ، هو فنّ .

بومبي — وما هو برهانك على ذلك ؟

ابورسون — ثوب الراهب المطرود يلائم دائماً براعة السارق .

بومبي — فعلاً، مهما كان الثوب ضيّقاً على السارق، يكفي ان يكون إنساناً شريفاً كي يجده واسعاً عليه. ومهما كان الثوب كبيراً على السارق فهذا الأخير يجده صغيراً على جسمه . وهكذا يليق ثوب الراهب المطرود بالسارق الماهر .

(يدخل ضابط الشرطة)

ضابط الشرطة — هل تمّ الاتفاق بينكما ؟

بومبي — اريد من كل قلبي ان اكون في خدمتك . لأني اجد مهنة الجلاّد اجدر من مهنة القوّاد. فهي تتطلب الحزم في اغلب الأحيان .

ضابط الشرطة — ايها الغبي ، اعدّ جزع الشجرة والفاس ، وكن جاهزاً في

الساعة الرابعة من فجر الغد .

ابورسون – تعال ، يا محتال ، لأعلمك مهنتي . هيا اتبعني .

بومبي – يسرني ان اتعلمها ، يا سيدي ، لأني آمل ان تشغّلني معك لحسابك الخاص ، فالعمل سيتم على اكمل وجه ، وأنا مدين لأفضالك بهذا التغيير .

ضابط الشرطة – جيئوني إلى هنا ببرنردان و كلوديو (يخرج بومبي وابورسون) فالواحد يحظى بشفقتي والآخر لا أجد له باباً للرحمة عندي حتى إن كان اخي لأنه في الحقيقة مجرم .

(يدخل كلوديو)

ضابط الشرطة – (يريه ورقة) خذ يا كلوديو ، هذا أمر باعدامك . الساعة تشير الآن إلى منتصف الليل ، وغداً صباحاً في الساعة الثامنة تنتقل من هذه الدنيا إلى العالم الآخر . أين برنردان؟

كلوديو – يغطّ في النوم العميق وينعم براحة المسافر بعد قطعه مسافة طويلة شاقة ، ولا يريد ان يستيقظ .

ضابط الشرطة – أية خدمة يمكننا ان نسديها إليه ؟ إذهب واستعدّ . (يسمع طرق على الباب) اسكت . ما هذا الضجيج ؟ (لكلوديو) اعطاك الله القوة (يخرج كلوديو . تسمع طرقات جديدة) انتظر قليلاً . اظن ان ذلك أمر بالعفو عن كلوديو او

بتأجيل تنفيذ حكم إعدامه . اهلاً ومرحباً بك ، يا ابتِ .

(يدخل الدوق بثياب راهب)

الدوق – الله معك ، أيها الضابط . هل جاء احد إلى هنا منذ قليل ؟

ضابط الشرطة – كلا . منذ ان اعطيت اشارة منع التجوّل .

الدوق – ألم تأتي ايزابيل ؟

ضابط الشرطة – لا .

الدوق – ستأتي مع صديقتها حتماً بعد قليل من الوقت .

ضابط الشرطة – ما وراءك من اخبار سارة بخصوص كلوديو ؟

الدوق – املي بأن لا تتأخر اخباره .

ضابط الشرطة – نائب الدوق هذا صارم جداً .

الدوق – لا ، لا . ان حياته تطابق عدالته المشكورة . وبامتناعه عن الموبقات ، يصون نفسه ويحاول ان يجعل الاعتدال يشمل الآخرين. لو كان يشكو مما يجدّ في اصلاحه لأمسى طاغية. لكن الأمور كما هي الآن تثبت صلاحه وعدله (يطرق الباب) ها هما (يخرج ضابط الشرطة) هذا ضابط إنساني . إذ من النادر ان يكون الجلاّد الفولاذي الاعصاب صديق الناس . (تسمع طرقات جديدة) ما هذه الضجة ؟ ما هذا الحماس ؟ لا بدّ من ان يكون الطارق مهووساً حتى يرتجّ لضرباته

خشب هذا الباب .

(يدخل ضابط الشرطة وهو يكلم شخصاً واقفاً بالباب)

ضابط الشرطة – لا بدّ من بقائه هنا إلى أن يقف السيد انجلو فيدخله. ها قد استدعاه .

الدوق – أليس لديك أوامر عكسية تخص كلوديو ؟ هل يتحتم عليه ان يموت غداً ؟

ضابط الشرطة – لا أمر عكسياً ، يا سيدي .

الدوق – مهما دنا الفجر ، أيها الضابط ، ستصلك الأنباء قبل الصباح.

ضابط الشرطة – ربما تعرف انت شيئاً . مع ذلك اعتقد ان ليس من أمر عكسيّ . إذ لم يسبق لي ان تلقيت مثله قبلاً . على كل حال من منصة قاعة المحكمة ، أعلن السيد انجلو خلاف مـــا ترجوه .

(يدخل رسول)

هذا الرجل يريد مقابلتي .

الدوق – لا بدّ من ان يكون هذا هو العفو عن كلوديو .

الرسول – (يسلّم الضابط ورقة) مولاي يرسل لك هـــذه التعليمات ، ويوصيك بواسطتي ان لا تحيد أبـداً عنها سواءً من قبيل الوقت او من قبيل الغاية ، او من قبيل أية تفاصيل اخرى.

ضابط الشرطة – انا طوع اوامره .

(يخرج الرسول ، يحيل الضابط نظره في الورقة التي استلمها)

الدوق – (على حدة) هذا حتماً هو العفو عن كلوديو ، وقد كلّف جرماً جديداً قائماً على الصفح الممنوح . فالشر يتقدم بخطوات حثيثة ، عندما يصدر عن سلطة عليا . وحين ينجم الرفق عن الرذيلة فإنه يمعن في التغاضي عن الجرم والتعاطف مع الإثم . فماذا تلقّيت من أنباء ، يا سيدي الضابط ؟

ضابط الشرطة – (وقد أتمّ قراءة الورقة) كما قلت لك منذ هنيهة ، ها هو السيد انجلو يخشى ان اتساهل في وظيفتي ، ويحرضني على استعجال التنفيذ بطريقة غير مألوفة . ومما يزيد عجبي ، ان هذا التصرف لم يصدر عنه مطلقاً في ما مضى .

الدوق – ارجو منك ان تقرأ لي ، وكلّي آذان صاغية .

ضابط الشرطة – (يقرأ) « مهما وصلك من تعليمات عكسية ، عليك ان تنفذ حكم الاعدام بكلوديو عند الساعة الرابعة فجراً ، وببرنردان بعد الظهر . وتزيدني سروراً إذا ارسلت لي رأس كلوديو باكراً عند الساعة الخامسة . إذاً لا بدّ من تنفيذ هذه الاوامر حتماً ، لأن استعجالها يهمني ، اكرر

عليك ، يهمني اكثر مما تتصوره . فلا تتهاون في القيام
بوظيفتك ، وإلا كان رأسك ثمناً لتاهلك » .
فما قولك بهذا التشديد ، يا سيدي ؟

الدوق – من هو برنردان هذا الذي سينفذ الحكم فيه بعد الظهر ؟

ضابط الشرطة – رجل غجري المولد ، نشأ وربي في فينا ، وهو سجين هنا منذ تسع سنوات .

الدوق – لماذا لم يتم ، أثناء غياب الدوق ، اطلاق سراح هذا الشخص او تنفيذ الحكم فيه ؟ انا لا افهم هذه الطريقة في تصريف الأمور .

ضابط الشرطة – لقد توصل اصحاب السجين إلى الحصول له على التأجيل باستمرار . حقاً ، في المدة الأخيرة تحت حكم السيد انجلو، لاحظت التساهل بصورة لا تقبل الشك .

الدوق – وهل تعتقد بأن امره انكشف الآن ؟

ضابط الشرطة – بكل وضوح . وهو ذاته لا ينكر ذلك .

الدوق – هل اعلن المجرم توبته في السجن ؟ وإلى أي مدى هو نادم ؟

ضابط الشرطة – هو رجل جسور لا يهاب الموت ، يكثر من النوم وهو سكران . فلم يعد يابه لشيء من شدة خموله ولم يعد يهمه ماضيه ولا حاضره ولا مستقبله . حتى انه لم يعد يشعر بأن

له ضميراً لشدة ما استولى عليه من يأس قاتل .

الدوق – هو بحاجة إلى النصح .

ضابط الشرطة – لا يريد ان يصغي إلى أي ارشاد ، ما دام قد اعتاد حياة السجن في هذه الأثناء . حتى لو تسنّى له الهرب من هنا ، لن يغتنم الفرصة السانحة ولن يفكر في الفرار ، لأنه غارق في السكر طوال اليوم لا سيا في مدة الأسابيع الأخيرة . لقد ايقظناه مراراً بحجة اننا نقوده إلى تنفيذ الحكم فيه ، وأريناه مذكرة تنفيذ شكلية ، لكنه لم يأبه لهـا ، كأن الأمر لا يعنيه.

الدوق – سنعود إلى التحدّث عنه بعد هنيهة. أيها الضابط، مكتوب على جبينك انك امين وحازم . فإن أسأت انا التفسير فلا بدّ لخبرتي وبصيرتي من ان تكونا قد خدعتاني . لكني لن اتردد في التراجع عن خطأ تقديري ، لأن كلوديو الذي بُلّغتَ التشدد في تنفيذ حكم إعدامه ، لم يخالف القانون اكثر من انجلو الذي اصدر هذا الحكم عليه . ولكي تدرك ما جرى بصورة لا تقبل الشك ، لا اطلب منك سوى مهلة أربعة ايام . وأنا أسألك ان تمنحني أيضاً منّة فوريّة خطيرة .

ضابط الشرطة – تفضل وقل لي ما هي .

الدوق – تأجيل التنفيذ .

ضابط الشرطة – يؤسفني ان لا استطيع ذلك . بما ان لديّ ساعة محددة وأمراً معيناً مشدداً يضعني تحت طائلة أقسى العقوبات، إن لم ارسل رأس كلوديو إلى انجلو . فأية مخالفة، تضعني في موقف كلوديو بالذات .

الدوق – بحق قدسية رسالتي السماوية ، اضمن لك سلامتك من كل عقوبة تتعرض لها ، إذا اتبعت تعليماتي بتنفيذ حكم الاعدام ببرنردان صباحاً لا بعد الظهر وبإرسال رأسه إلى انجلو ، بدلاً من كلوديو .

ضابط الشرطة – انجلو رأى الاثنين ، وسيلاحظ تبدّل وجه القتيل حتماً .

الدوق – الموت يغيّر الملامح كثيراً . ولكي تزيد ايهام انجلو، أحلق الرأس واعقد شعر اللحية مدّعياً ان المحكوم أراد اظهار توبته فطلب حلق شعر رأسه قبل ان يموت . انت تعرف ان هذا يحدث غالباً. وأنا واثق بأن التشكرات والانعامات ستنهال عليك كالمطر . كن على ثقة بأني اضمن لك حماية حياتك من كل خطر وأذى .

ضابط الشرطة – العفو ، يا أبتِ الوقور . هذا يخالف ما أقسمت المحافظة

عليه .

الدوق -انت أقسمت ان تكون اميناً للدوق او لنائبه ؟

ضابط الشرطة -له ولنائبه على السواء .

الدوق - كن على يقين بأن الدوق لن يعاقبك على تصرفك، إذا فعلت ما اطلبه منك .

ضابط الشرطة -ما هي ترجيحات حمايتي في هذه القضية ؟

الدوق -ليس من ترجيحات ، بل لديّ ضمانات . وبما انك خائف هكذا، ربما لا ثوبي ولا جرأتي ولا حججي تطمئنك كفاية. فساذهب معك إلى أبعد منها لأبدّد عنك مخاوفك (يسحب ورقة ممهورة بخاتم ويعرضها على الضابط) انظر يا سيدي . هذا خاتم الدوق ، وأنت تعرفه وتعرف خطه بدون شك.

ضابط الشرطة -(يتفحص الورقة) إني أتعرف عليها جيداً .

الدوق -محتوى هـــذه الورقة ينبىء بعودة الدوق قريباً . ستقرأ نصّها على مهل وسترى انه سيعود بعد يومين . هـذا ما لا يعلم به انجلو بعد، لأنه اليوم سيستلم رسالة غريبة الفحوى ربما تعني ان الدوق مات ، او دخل أحد الأديرة ، وربما لا صحة لكل هذه التأويلات . انظر ، هـا هي نجمة الرعاة تدعوك إلى الاطمئنان . فلا تتعجب من امكان حصول

هذه الأمور الغريبة لأن جميع المشاكل تهون عندما نعرف خفاياها . أطلب مجيء الجلاد ، ولا تتردّد في ان تفرض عليه قطع رأس برنردان الذي أنا ذاهب لأعدّه حالاً على أفضل وجه . أراك لا تزال مشدوهاً . إنما هذا سيجعلك تحزم أمرك نهائياً . (يريه الورقة) هيا ، يكاد النهار ان يطلع وشيكاً .

(يخرجان)

المشهد الثالث

في قاعة اخرى من السجن

يدخل بومبي

بومبي — هناك لي معارف عديدون ، كما لو كنت في محل تجاري ، أو كأني في منزل السيدة المرهقة لكثرة ما شاهدت من هذه الممارسات المألوفة . أولاً هناك السيد الطائش الذي جاء

لتسليم ورقة صفراء وزنجبيل عتيق يقدّر ثمنه بمئة وسبعة وتسعين ليرة ، بعد ان سحب منه خمس اواق وباعها نقداً . يا إلهي ! هـذا الزنجبيل لم يكن مطلوباً في الأساس ، لأن النساء جميعهن كن غائبات . ثم هناك السارق الذي جاء في طلب السيد ذي « الشعرات الثلاث » وقد أوصاه على أربعة أثواب من الحرير بلون الدرّاق من الممنوع دفع قيمتها . ثم هناك الأبـله الشاب والسيد الماكر والسيد الخيّـال والسيد الخفيف ، رجل امتشاق الحسام وانتضاء الخنجر ، والشاب الأصلع الذي قتل البدين « حلاوة » . وهناك المعلم الغشاش والمقاتل الباسل السيد النعّـال والرحّالة ، وهـــذا الساقي العجيب الذي طعن بسكينه السيد الماجن المتهتك . يخيّـل إليّ ان هناك أيضاً أربعين آخرين جميعهم من رعـايا الدولة الذين يمكثون هناك على بركة الله .

(يدخل ابو رسون)

ابورسون — أيها الغبي ، أجلب لي برنردان حالاً إلى هنا .

بومبي — (ينادي) يا معلم برنردان ، استيقظ لكي نشنقك ، يا معـلم برنردان .

ابورسون – هيا ، يا برنردان .

برنردان – (من الداخل) : قضى عليكم الطاعون . من يحدث كل هذه الضجة ؟ من أنتم ؟

بومبي – نحن اصدقاؤك ، يا سيدي . انا الجـلاّد . تفضل استيقظ لتنفذ فيك حكم الاعدام .

برنردان – (من الداخل) إذهب إلى الجحيم يا دجّـال، إذهب إلى الجحيم. اريد ان انام .

ابورسون – (لبومي) قل له أن ينهض عاجلاً .

بومبي – هيا ، يا معلم برنردان ، أفق لتنفذ فيك حـــكم الإعدام ، وبعدئذٍ تنام .

ابورسون – ادخلْ واجلبه .

بومبي – هو آت ، يا سيدي ، هو آتٍ . إني أسمع وقـع أقدامه على القش .

(يدخل برنردان)

ابورسون – (لبومي) هل الفاس على جذع الشجرة ، يا منافق ؟

بومي – والرأس جاهز ، يا سيدي .

برنردان – ما وراءك من أخبار ، يا ابو رسون ؟

ابورسون — تفضل يا سيدي ، أنا أدعوك إلى الركوع للصلاة ، لأن الأوامر قد وصلت ، كما ترى .

برنردان — يا غبي ، لقد شربت طوال الليل ، وأنا على أتمّ الاستعداد.

بومبي — من حسن حظك يا سيدي . فمن يشرب طوال الليل يضيع منذ الصباح الباكر ، ويغرق في نوم عميق طوال النهار .

(يدخل الدوق بثياب راهب)

ابورسون — (يشير لبرنردان إلى الدوق) هـا هوذا يا سيدي أبوك الروحي قد أتى . هل ظننت اننا نمازحك ؟

الدوق — (لبرنردان) يا سيدي ، لقد تأثرت من شدة عطفي ، لدى إبلاغي النبأ بانك سترحل عاجلاً عن هذه الدنيا ، فجئت أزوّدك بالنصائح ، واهوّن عليك ، واصلّي معك.

برنردان — أنا ؟ تبّاً للرهبان أمثالك. لقد شربت كثيراً طوال الليل، ولديَّ الوقت الكافي لأفكر بالرحيل . هل يحتاج الأمر إلى قطع رأسي وهدر دمي بضربة قوية كأنه حطبة ، لأني غير مستعد لأن أموت اليوم ؟ ما رأيك أنت في الموضوع ؟

الدوق — يا سيدي ، لا بدَّ من ذلك . استحلفك أن تقبل بالأمر وتنوي على الرحيل .

برنردان – أقسم لك بأن لا أحد في الدنيا يستطيع اجباري على أن أموت اليوم .

الدوق – لكن ، اسمع ...

برنردان – لا اريد أن اسمع كلمة واحدة . فإن كان لديك ما تقوله لي ، تعال إلى زنزانتي لأني لا اودّ الخروج منها في هذا النهار .

(يخرج)

الدوق – مسكين ، هو غير قادر على أن يعيش ولا على أن يموت . تبّاً لقلبه المتحجّر العنيد . رافقوه يا أصحاب، وأوصلوه إلى مكان الإعدام .

(يخرج ابو رسون وبومبي)

(يدخل ضابط الشرطة)

ضابط الشرطة – كيف تجد هذا السجين ، يا سيدي .

الدوق – غير مستعد على الاطلاق ، وغير راضٍ بأن يموت . فإذا فارق الحياة على هذه الصورة نكون قد أضفنا إلى عذابه أقسى العذاب .

ضابط الشرطة – في السجن ، يا أبتِ ، مات هذا الصباح بحمى خبيثة ، شخص يدعى راكوزان ، وهو قرصان خطير ، بعمر كلوديو ، وله لحية وشعر طويل . فما رأيك في ان نترك

هذا المسكين جانباً ، حتى يتأهب كا يلزم ، وأن نرسل إلى نائب الدوق رأس راكوزان الذي يشبه كثيراً سحنة كلود .

الدوق – هذا حادث طارىء دبرته العناية الإلهية . عجل في الأمر ، فقد دنت الساعة التي حددها انجلو للتنفيذ. إعمل على ترتيب الأمر حالاً حسب التعليمات ، ريثما أقنع هذا الغبي باقتبال الموت .

ضابط الشرطة – سأنفذ هـذا في الحال ، يا أبتِ الجليل . لكن برنردان محكوم عليه بالإعدام بعد ظهر اليوم . فماذا أفعل بكلوديو لكي أضمن نفسي من العقاب الذي أتعرض إليه إذا اكتُشِف انه لا يزال حياً ؟

الدوق – إليك ما يجب عمله: أرسل برنردان وكلوديو إلى سراديب السجن الخفيّة . وقبل أن تدور الشمس دورتها اليومية وتشرق مرتين على أهل الأرض سترى حياتك في مأمن بعيداً عن كل شرّ .

ضابط الشرطة – إني أضع ذاتي راضياً مطمئناً في حمايتك .

الدوق – هيّا عجّل إذاً في إرسال الرأس إلى انجلو (يخرج ضابط

الشرطة) والآن ساكتب إليـه رسالة يسلمه إياها الضابط ، وسيؤكد له مضمونها إني على وشك الرجوع ، وإني لاعتبارات خطيرة مضطر للدخول في موكب كبير ، واساله أن ياتي لاستقبالي عند العين المباركة ، على بعد ميل من المدينة ، ومن هنـاك يتحرك الموكب الرسمي حسب المراسم القانونية بصحبة انجلو .

(يدخل ضابط الشـ طة حاملا رأس راكوزان)

ضابط الشرطة – ها هوذا الرأس ، سآخذه إليه بنفسي .

الدوق – حسناً تفعل . وعد بدون إبطاء ، لأبلغك ما لا يجوز قوله إلا همساً في اذنك .

ضابط الشرطة – سأبذل قصارى جهدي .

(يخرج)

ايزابيل – (من الداخل) السلام على الجميع .

الدوق – هـذا صوت ايزابيل . وهي آتية لتعرف ما إذا كان العفو عن أخيها قـــد وصل إلى هنا . لكني ساكتم عنها حقيقة سعادتها لكي أحوّل يأسها إلى فرح عظيم حين يكون أملها أضعف ما يكون .

(تدخل ايزابيل)

ايزابيل — هل صدر العفو ؟

الدوق — نهارك سعيد ، أيتها الصبية اللطيفة .

ايزابيل — نهاري حقاً سيكون سعيداً ما دام رجل صالح مثلك يتمنّاه. أرجو أن يكون نائب الدوق قد أرسل العفو عن أخي .

الدوق — لقد أفرج عنه من هذا العالم يا ايزابيل ، وتدحرج رأسه وأرسل إلى انجلو .

ايزابيل — لا ، لا . هذا لم يتمّ .

الدوق — أجل ، أؤكد لك أنه قد تمّ . كوني عاقلة وحكيمة أيتها الصبية وتذرعي بالصبر الجميل .

ايزابيل — سأذهب إليه واقتلع له عينيه .

الدوق — لن يستقبلك أبداً .

ايزابيل — مسكين كلوديو . ومسكينة أنا شقيقته ايزابيل. سحقاً لهذا العالم الظالم وسحقاً لأنجلو السفاك .

(تبكي)

الدوق — كل هذا الكلام لن يمسّه ولن يفيدك . فكفّي عنه واتكلي على الله . اسمعي ما أقول لك : أريد أن اعرف مفصلاً كل

الحقيقة . فالدوق يعود غـــداً . هيّـا امسحي دموعك . أخبرني أحد رهبان الدير ، وأبلغ ذلك أسكالوس وأنجلو اللذين يتأهبان لاستقباله غداً عند أبواب المدينة ، كي يردّا له سلطته علناً . فـــإذا استطعت اتباع تعليماتي ستكونين سعيدة جداً بالنتيجة وتقتصّـين من هـذا الشقي ، وتنالين نِعَـم الدوق وشكره ، والانتقام لقلبك المجروح ، ثم ثنـاء الجميـع .

ايزابيل – أنا متّـكلة عليك وسأتبـع نصائحك حرفياً .

الدوق – (يعطيها مغلفاً) سلّـمي هذا المغلّـف للأخ بطرس ، فالرسالة تنبىء بعودة الدوق . قولي له إني انتظر حضوره إلى بيت مريان هـــذا المساء ، وسأشرح له قضيتك وقضية صديقتك أمام الدوق كي يتهم انجلوا وجهاً لوجه . أما انا الراهب المسكين فمرتبط بموعد هام جداً ولن أكون حاضراً إذهبي أنتِ وأوصلي هـذه الرسالة الى صاحبها . كفكفي دموعك التي تحرق اجفانك ، وليكن قلبك قوياً مطمئناً ، ولا تتكلي على أوامري اذا كنتِ لا تثقين بتوجيهاتي . من الآتي ؟

(يدخل لوسيو)

لوسيو – نهارك سعيد أيها الراهب . أين ضابط الشرطة ؟

الدوق – خرج منذ برهة يا سيدي .

لوسيو – يا ايزابيل الحلوة ، قلبي متلهّف لرؤيتك ، وأنـا أعجب لعينيك الحمراوين . تصبري. اني اكتفي بشرب الماء وأكل النخالة ظهراً ومساءً ، ولأحفظ رأسي لا أجسر على مـلء بطني ، لأن دسم الطعام يهيّـج معدتي . يقـــال ان الدوق يصل غداً . صدّقيني يا ايزابيل ، كنت أحب شقيقك ، ولو كان الدوق الشيخ العجيب صاحب الزوايا المظلمة هنا لكان أخوكِ لا يزال على قيد الحياة .

(تخرج ايزابيل)

الدوق – اعتقد ، يا سيدي ، ان الدوق ليس مسروراً من تقاريرك. ولحسن حظك انه لا يتأثر بها كثيراً .

لوسيو – أنت لا تعرف الدوق أيها الراهب الغريب ، كما أعرفه أنا . هو يحب المجون اكثر مما تتصور .

الدوق – ستدفع ثمن كلامك المتهوّر هذا غالياً في يوم قريب. الوداع.

لوسيو – لا ، لا ، انتظر . ساجتاز الطريق بصحبتك وساروي لك

قصصاً مسلية عن الدوق .

الدوق — لقد حكيت لي ما فيه الكفاية يا سيدي . سواءً كنت صادقاً أو كاذباً فقصة واحدة تكفيني .

لوسيو — لقد مثلْتُ أمامه مرةً حين نفختُ بطن آنسة .

الدوق — هل حقاً فعلت ذلك ؟

لوسيو — إي وربي . لكنني أنكرت الأمر وأقسمت اليمين زوراً . والا لكان أرغمني على الاقتران بتلك الغبية المتهتكة .

الدوق — أتدري ، يا سيدي ، بأن رفيقتك بلهاء اكثر مما هي مستهترة . وداعاً .

لوسيو — لعمري ، سأكمل طريقي معك الى نهاية الشارع . فإذا كانت القصص الماجنة تزعجك سأقلع عنها ، أيها الأخ الجزيل الوقار . فأنا من فصيلة الزفت وألصق بكل ما يحيط بي .

(يخرجان)

المشهد الرابع

عند انجلو

يدخل انجلو واسكالوس

اسكالوس – كل واحدة من الرسائل التي كتبها تناقض الاخرى .

انجلو – بشكل متنافر غريب غـــير متماسك . فتبدو أعماله كأنها صادرة عن مجنون . لنطلب من الله أن لا يكون عقله قـد تغيّـر . لماذا يطلب منا استقباله عند أبواب المدينة ، حيث يريد أن نعيد إليه سلطاته .

اسكالوس – أنا لم أتوصل إلى أي تفسير .

انجلو – ولماذا علينا أن نعلن قبل وصوله بساعة من الزمان ، إن كان أحد من الأهـالي يريد أن يرفع شكوى فليقدّمْـها في الشارع .

اسكالوس – السبب واضح وهو التخلّـص من جميع الشكاوى ومن التجنّـيات التي سبقت وصوله كي لا نظلّ نحن بعـد تلك

اللحظة مسؤولين عنها .

انجلو – أرجو منك أن تقوم بهـذا الاعلام . وغداً صباحاً أزورك في بيتك ، فعجّـل وبلّـغ جميـع ذوي المناصب العالية أن يبادروا إلى استقباله .

اسكالوس – نعم يا سيدي ، الوداع .

انجلو – ليلتك سعيدة (يخرج اسكالوس) هـــذا العمل يضايقني ويقلقني ، ويشل يدي ، حتى صرت لا استطيـع القيام بأية حركة . هناك عذراء لم تعد بكراً ، والجاني عليها شخصية بارزة ، خالف القوانين بارتكاب جرمه الفظيـع . ولو حال قليلٌ من الحياء دون اعلانه عن هـذه الجناية العذرية لكان الواقع ألبسني أنا هذه التهمة الدنيئة . لكن التعقل اضطره إلى السكوت . لأن سلطتي تدعمها كرامة يقدّرها الجميـع ، قبـــل أن تحرمني منها فضيحة كهذه تلطخ شرفي بالعار وتخلط بيني وبـين المسؤول الحقيقي عنها ، وكان كلوديو ظل على قيد الحيـاة لو ان شبابه الصاخب لا يدفعه خطر الكراهية ولم يبحث عن الانتقام لشرفه الذي باعـه بأبخس الأسعار كأنـه سلعة بذيئة . اسأل الله أن يظل حياً . فمن

المؤسف ، عندما عرّضت كرامتي للإهانـة ، لم يعد هناك أمر يسير سيراً حسناً، بينما أنا أتردد في الاقدام على الاصلاح.

(يخرج)

المشهد الخامس

في ضواحي فينـا

يدخل الدوق بلباسه الأميري الرسمي ومعه الأخ بطرس

الدوق — (يسلّم الراهب اوراقاً) سلمني هـــذه الرسائل في الوقت المناسب . فضابط الشرطة مطلع على مشروعى وخطتي . ومتى أُثيرت القضية ، نفّـذ حالاً ما زوّدتك به من تعلياتي، وتابع سعيك لتحقيق هدفي الاسمى ، ولو حدْتَ قليلاً عن بعض التفاصيل حسب مقتضى الظروف . إذهب إلى فلافيوس وأخبره أين أنا . أعلم أيضاً فَلَنْتينوس وورولان وكراسوس، وقل لهم أن يجيئوا بالأبواق إلى أبواب المدينة.

لكن أرسل لي أولاً بطلب فلافيوس .

الأخ بطرس – سأنفّذ أوامرك بأسرع ما يمكن .

(يدخل فاريوس)

الدوق – أشكرك يا فاريوس . فقد بذلت جهداً تحمد عليه. سنمشي معاً ، وسيمشي برفقتنا أصحابنا الآخرون، ويأتون للسلام عليك بعد هنيهة يا عزيزي فاريوس .

(يخرجان)

المشهد السادس

في ضواحي فينتا

تدخل إيزابيل ومريان

ايزابيل – أنا أكره أن أتكلم عن جميع هذه المواربات ، وأودّ أن أصدقك الحقيقة . لكنك أنت ستتولّج بتوجيه الاتهام إليه . على كل حال، هو نصحني بأن أتصرف بهذه الطريقة

كي نخفي غايتنا بصورة أفضل .

مريان – دعيه يرشد خطواتك .

ايزابيل – من جهة ثانية يحذّرني ، إذا غامرت ، بأنه سيتكلم بحقي إلى خصمي ، ولا أجد ذلك غريباً منه لأن طعم ردة فعله مرّ كالعلقم .

مريان – أود أن يكون الأخ بطرس ...

ايزابيل – اصمتي ، ها هو قادم .

(يدخل الأخ بطرس)

الأخ بطرس – تعـــالي ، لأني وجدت لك مكاناً ملائماً تحت نظر الدوق بدون أن يراك هو . فقد دق النفير مرتين ، وأكبر النبلاء وأبرز المواطنين قد شغلوا أمكنتهم . وبعد لحظة سيدخل الدوق . فهيا بنا نذهب نحن أيضاً .

(يخرجون)

الفصل الخامس

المشهد الأول

في ساحة واسعة أمام مدخل فينـا

مريان مبرقعة وإيزابيل والأخ بطرس يقفون على بعد مسافة .
يدخل من النواحي المتقابلة الدوق وفاريوس والوجهاء وانجلو
واسكالوس ولوسيو وضابط الشرطة والرسميون والمواطنون .

الدوق — (لأنجلو) يسعدني أن أراك، يا نسيبي العزيز (لأسكالوس) أنا مسرور جداً بلقائك ، يا صديقي المخلص .

انجلو واسكالوس - ابتهجنا كثيراً بعودتك ، يا صاحب السعادة .

الدوق – الف شكر لكما من أعماق قلبي . لقـــد افتقدت شخصكما وسمعت الكثير عن عدلك يا انجلو ، فطابت نفسي باخبارك السارة وعزمت على التنويه بهـــا أمام شعبنا الذي يقدّر صفاتك ومساعيك كمقدّمة لما أنوي أن أمنحك إيّاه من مكافآت .

انجلو – هكذا تضاعف واجباتي نحوك ، يا مولاي .

الدوق – ان مكانتك تزداد رفعـــة في نظري ، وإن أخفيتها . في أعماق صدري أكون قد غمطتك مـا تستحقه من اكرام ، بينما أنت أهل لأن أشيّد لك صرحاً لا تناله عوادي الزمان ولا ينهار ويضيع في طيات النسيان . هاتِ يدك اصافحها أمام أعين رعاياي حتى يعلم الجميع ان هـذا الاعتبار العلني هو تعبير صادق عن تقديري مزاياك الحميدة . تعـال أنت أيضاً يا اسكالوس ، وسرْ إلى جانبي من الجهـة الأخرى ، فإني أجد فيكما سندين امينين أتوكأ عليكما .

(يدخل الأخ بطرس وتتبعه إيزابيل)

الأخ بطرس – جاء دورك . ارفعي صوتك واركعي أمامي .

ايزابيل – ألتمس منك العدل ، أيها الدوق المنصف . ألقِ نظرة عليَّ أنا الفتاة المظلومة والعذراء المغدورة . أيهـا الأمير العادل أتوسل إليـك أن لا تغض الطرف ولا تشيح بوجهك عني قبـــل أن تسمع شكواي المحقّة وتنصفني . ألتمس منك العدل ، فالعدل ، ثم العدل.

الدوق – اعرضي لي ظلامتك . لمـاذا أنتِ مغدورة ، ومن ظلمك ؟ تكلمي باختصار . هـــا هوذا السيد انجلو الذي سينظر في مشكلتك ، فاحكي له ما تشكين منه .

ايزابيل – أيها الدوق العادل . أنت تطلب مني أن ألتمس الخلاص من ابليس مصدر بلواي . اريد أن تسمعني أنت بنفسك أولاً ، لأن ما سأرويه سيجر عليّ ، أما العقاب الصارم ، إن لم تصدقني ، أو انتزاع التعويض عمّا نابني من بؤس وشقاء . فأرجو منك أن تصغي إليَّ وتنصفني فوراً .

انجلو – أخشى أن يكون مطلبها غير محقّ يا مولاي . فقد التمست مني العفو عن شقيقها الذي أنزلت به حكم العدالة .

ايزابيل – حكم العدالة أم ظلم الطغيان .

انجلو – وستسرد قصة مرّة اللهجة غريبة الموضوع .

ايزابيل — قصة غريبة ، لكن حقيقية . أوليس غريباً أن يكون انجلو مشبوهاً وقاتـــلاً وفاسقاً من أحقر الزناة والمجرمين الخداعين ، سالبي عفة العذارى . أوليس هـذا غريباً بل في غاية الغرابة ؟

الدوق — هذا أمر عجيب لا يصدق .

ايزابيل — هو صحيح ، كحضور انجلو في هـذا المكان أمامنا جميعاً ، صحيح ، بقدر ما هي كل هذه الانحرافات حقيقية . أجـل هي صحيحة وإن كانت لا تصدق . لأنهـا الحقيقة الأكيدة التي لا تتغير ولا تتبدّل .

الدوق — خذوها . مسكينة هذه الفتاة، فإن هزال عقلها يدعها تهذي هكذا .

ايزابيل — أيها الأمير ، استحلفك بكل عزيز ، إن كنت تؤمن بـأن في الوجود ما يسمى عدالة ، أن لا ترفض سماعي على اعتبار أني مهووسة . لا تحكم بأن ما أقوله مستحيل حدوثه ، بينما هو واقع مرير خطير يهز أعماق الضمير، وقد جرى على يد أنجلو . هكذا أمكن نائب الدوق ، بما يزدان به من مظاهر وشهادات وألقاب وأوسمة، أن يكون محتالاً دنيئاً. صدقني

أيها الأمير الكريم، إن لم يكن ما أقوله حقيقياً ، فلا حقيقة على وجه البسيطة،ولا سبيل إلى وصف أو إثبات ما يجري في الوجود .

الدوق – بشرفي ، ان كنت مجنونة ، كما أظن ، فجنونك يـدل على منطق سليم ، وعلى تتابع وتماسك في الخواطر ، لا يمكن أن يصدران عن مجنون .

ايزابيل – أيها الدوق الحكيم ، أسألك أن تبعد عنك هــذه الفكرة الخاطئة ، وان لا تصمّ اذنيك عن سماع شكواي بحجـة اني مهووسة. ألتمس من حكمتك أن تستخلص العبرة من الواقع الأليم، كما يبدّد النور حجب الظلام، وكما يهزم الصدق فلول الكذب وينكشف النفاق المتستر بظواهر الأمانة والوفاء .

الدوق – لا أنكر ان عدداً كبيراً من الناس ، وإن كانوا شبه مجانين، ليسوا بعيدين عن الحق . فماذا تريدين أن تقولي ؟

ايزابيل – أنا شقيقة المدعو كلوديو الذي حكم عليه انجلو بالاعـــدام بسبب عمل فاسق يضعضع العقل ، وقد استنجد بي أخي ، وأنا في أحد الأديرة بواسطة المدعو لوسيو لأنقذ حياته .

لوسيو – (يقاطعها) نعم أنا ، يا صاحب السعادة ، ذهبت لمقابلتها بناء

على طلب كلوديو وسألتها على لسانه أن تحـاول انتشاله من الموت ، بتأثيرهـا اللطيف على السيد انجلو والحصول منه على العفو عن أخيها المسكين .

ايزابيل – أجل هو بذاته ، يا مولاي .

الدوق – (الوسيو) لم يطلب منك أحد أن تتكلم .

لوسيو – كلا، يا مولاي الكريم.ولم يطلب أحد مني ان اسكت أيضاً.

الدوق – أنا أسألك الآن ذلك.وأرجو أن لا تجيب عند اللزوم إلا عن نفسك، وأتمنى لك حينذاك أن لا تنوء تحت وقر المسؤولية.

لوسيو – أؤكد لك ذلك يا صاحب السيادة .

الدوق – اجتهد أن تصون نفسك . اسمعني جيداً ولا تنس مـــا اوصيك به .

ايزابيل – (تشير إلى لوسيو) هذا الرجل روى جزءاً من قصتي .

لوسيو – وبصورة ملائمة .

الدوق – بصورة ملائمة ، هذا ممكن جداً. لكنك تسيء عندما تتكلم قبل أن يأتي دورك (لايزابيل) تابعي قولك :

ايزابيل – (مشيرة إلى انجلو) ذهبت إلى مقابلة هذا الخسيس نائب الدوق.

الدوق – هذا حديث يدلّ نوعاً ما على الجنون .

ايزابيل — سامحني على هذه النعوت التي أراها في محلها .

الدوق — لماذا هي في محلها ؟ على كل حال ، اكملي .

ايزابيل — بالاختصار ... لا داعي لأن أروي لك كيف رفض طلبي ، وبماذا أجبته . لأن كل هـذا يقتضي شرحاً طويلاً . أصل سريعاً إلى النهاية الفظيعة التي لمجرد ذكرها يتمزق قلبي ألماً وخجلاً . لم يشأ أن يطلق سراح أخي إلاّ إذا سلمته نفسي وضحيت لارضائه بكرامتي وسايرت شهواته الجامحـــة وعاشرته معاشرة غير لائقة. وبعد أخذ وردّ ، تغلبت عليّ شفقتي على أخي فأخرست ضميري وشرفي وطاوعته . إنما في اليوم التالي بعد ارتواء أهوائه ، بدلاً عن العفو ، أرسل الأمر بقطع رأس أخي المسكين للتنفيذ .

الدوق — (باستهزاء) قصتك معقولة .

ايزابيل — انها حقيقية أكثر مما هي معقولة .

الدوق — أقسم بشرفي ، أيتها المهووسة المسكينة ، إما أن تكوني لا تدركين ما تقولين ، أو أن تكوني مدفوعة إلى تحقيري من قبل متآمر حاقد عليّ . أولاً هذه الاتهامات ممكنة ، إنما لا يعقل أن يرتكب أيّ أحمق مثل هذه الذنوب بحق ذاته. فإذا

زلّـت به القدم هكذا حقاً ، لقاس جرم أخيك بنفسه ومـا حكم عليه بالاعدام. هل حرّضك أحد على تمثيل هذه الرواية أمامي ؟ اعترفي بالحقيقة واذكري لي اسم من دفعك إلى رفع هذه الشكوى إليّ هنا علناً في مثل هذه المناسبة الرسمية .

ايزابيل — هل هذا كل ما لديك لانصافي؟هنيئاً لك أيها الموظف الكبير. امنحني الأمـان وفي أقرب فرصة اكشف لك عن جريمتك البشعة المغلفة بالرياء . حفظك الله من كل شر . سأبتعد عن هذا المكان إنمـــا سأظل ضحية كغيري من الأبرياء الذين لم يرحمهم حظهم العاثر .

الدوق — أنا أعرف أنكِ تنوين الانسحاب . أيها الشرطي خـذ هذه المرأة إلى السجن . معاذ الله أن أدع النميمة تنتصر وتنهش شخصاً مقرباً عزيزاً عليّ . لا بـدّ من أن يكون في الأمر محنة ومكيدة . من كان مطلعاً على ما حدث لك ؟

ايزابيل — شخص أود أن يكون حاضراً ها هنا ، هو الأخ لودوفيك.

الدوق — أنه راهب جليل بدون شك . من يعرف الأخ لودوفيك ؟

لوسيو — أنا أعرفه يا مولاي . أنه راهب دسّاس ، لا أحبه. ولو كان علمانياً لكنت هشمت عظامـه بسبب الكلام البذيء الذي

قاله بحق سيادتك في أثناء غيابك .

الدوق - كلام بذيء بحقي ؟ مع أنه راهب رصين المظاهر . إنما تحريضه هذه المرأة الحاضرة هنا على نائب الدوق ، لا يمكنني أن أرضى به أبداً. ابحثوا عن هذا الراهب وأحضروه إليّ .

لوسيو - مساء أمس بالذات ، يا مولاي ، رأيتهما معاً في السجن ، هي وهذا الراهب القليل الحياء ، المغامر المستهتر .

الأخ بطرس - (يتقدم) حفظك الله يا مولاي الوقور . لقد كنتُ هنا وسمعتُ ما يخدش الأذن . فهذه المرأة تتهم زوراً نائبك البريء من كل علاقة تلصقها به هذه المجرمة التي تدّعي أنها ستنجب طفلاً من صلبه .

الدوق - أمر مستبعد . هل تعرف الأخ لودفيك الذي تحدثتْ هي عنه ؟

الأخ بطرس - أعرف أنه راهب تقي وليس بائساً شقياً ذا علاقات غرامية ومشاكل دنيئة كما يصفه هذا الرجل (يشير إلى لوسيو). هو إنسان أجزم بأنه لم يتكلم عن سعادتك بأي سوء كما يؤكد ذلك هو بالذات .

لوسيو - صدقني ، يا مولاي ، انه تكلم عنك بشكل مريب مخجل .

الأخ بطرس – لنفرض أنه تكلم هكذا ، سيأتي يوم يبرر فيـه نفسه . لكن في الوقت الحـاضر يا مولاي ، هو مصاب بحمّـى غريبة . وهو الذي علم بأن شكوى ستقدّم بحق السيد انجلو ، فطلب مني أن آتي إلى هنا وان أشهد باسمه هذه الشهادة المخزية التي يعرف هو جيداً إن كانت صاقة أو كاذبة، شهادة هو مستعد لاثباتها بقسم اليمين قانونياً حالما يطلب منه ذلـك رسمياً ، أولاً لتبرئة هذا السيد الكريم المتهم هكذا شخصياً وعلناً ، وستستمع إلى التكذيب المباشر الصريح الذي سيفحم هـذه المدعية ويجعلها تندم على ما افترت به عليه جزافاً .

الدوق – أيها الأخ الوقور ، أنا كلي آذان صاغية .

يجلب بعض الحراس ايزابيل . فتتقدم مريانـ وعلى وجهها برقع . ألا يجعلك كل هـذا تبتسم يا مولاي انجلو ؟ تبّـاً لوقاحة هؤلاء المهووسين الأشقياء.هاتوا بعض المقاعد. تعال ، يا نسيبي انجلو. اريد في هذه القضية حسب عادتي، أن أكون حيادياً . فكن أنت القاضي في دعواك الشخصية (يشير للراهب إلى مريان) هـل هذه هي الشاهدة ، أيها الأخ . دعها تكشف لنا عن وجهها ، وبعدئذٍ تتكلم .

مريان — العفو ، يا مولاي . أنا لا اريد أن يرى أحـد وجهي إلا إذا سمح لي زوجي بذلك .

الدوق — ماذا تقولين ؟ هل أنتِ متزوجة ؟

مريان — كلا ، يا مولاي .

الدوق — هل أنتِ آنسة ؟

مريان — كلا ، يا مولاي .

الدوق — إذاً أنتِ أرملة ؟

مريان — لستُ أرملة ، يا سيدي.

الدوق — من أنتِ إذاً ، إن لم تكوني آنسة ولا زوجة ولا أرملة ؟

لوسيو — ربما هي مومس ، يا مولاي. لأن عـــدداً كبيراً من بنات الهوى لسن أوانس ولا زوجات ولا أرامل .

الدوق — أسكتوا هـذا الفتى المغرور . أود أن يكون له دعوى لكي يثرثر عن مشاكله .

لوسيو — أمرك مطاع ، يا مولاي .

مريان — أنا أُعلن ، يا سيدي ، بأني غـير متزوجة . واصرّح أيضاً بأني لستُ آنسة . فقد عرفت زوجي . إنما زوجي لا يعلم بأنه يعرفني كزوجته .

لوسيو – كان السكر يعميه حين تزوجك ، وليس من تفسير آخر لما تدعينه .

الدوق – كم اتمنّى ان تكون مثله لتتحفنا بصمتك .

لوسيو – كما تشاء ، يا مولاي .

الدوق – (يشير إلى مريان) اوليست هذه شاهدة لصالح السيد انجلو ؟

مريان – أنا آتية فعلاً لأجل ذلك ، يا مولاي . ان من تتهم انجلو بالفسق تتهم زوجي بهذا الجرم. وانا يا مولاي مستعدة لأن اشهد بأنه كان بين ذراعيّ ، ولم يبخل عليَّ بتصريحاته الغرامية .

انجلو – هي إذاً تتهم رجلاً غيري .

مريان – لا ليس احداً غيرك ، على ما اعلم .

الدوق – اتقولين انه زوجك .

مريان – بكل تأكيد ، يا مولاي . زوجي هذا ، هو انجلو الذي يعتقد تماماً انه لم يمتلكني والذي يوقن ، على ما ارى ، بأنه امتلك ايزابيل .

انجلو – هذا خلط غريب . اكشفي إذاً عن محياك .

مريان – لأن زوجي سمح لي ، ارفع الحجاب عن وجهي . (تكشف

عن وجهها) هذا هو وجهي ايها الخبيث انجلو . لقد اكدت سابقاً انك جدير بالثقة، وهذه هي اليد التي ارتبطت بيدك بموجب عقد مقدس . وهذا هو الشخص الذي تعهد بأن يمهر وثيقة زواج ايزابيل،والذي قام بدوري في عقر دارك.

الدوق — (لأنجلو) هل تعرف هذه المرأة ؟

لوسيو — بالجسم طبعاً ، كما قالت هي .

الدوق — امر غريب جداً .

لوسيو — هذا يكفي ، يا مولاي.

انجلو — يجب ان اقر ، يا مولاي ، بأني اعرف هذه المرأة . فمنذ خمس سنوات ورد على بساط البحث بيني وبينها مشروع زواج لم يتحقق لأسباب منها فقدان بائنة تعدّى استرجاعها نطاق ارادتنا ، ثم ان سمعتها كان يشوبها قليل من خفة السلوك . ومنذ ذلك الحين اي منذ خمسة اعوام لم اكلمها ولم اشاهدها ولم اسمع اخبارها . اقسم على ذلك بشرفي .

مريان — (ترتمي عند اقدام الدوق) ايها الأمير النبيل لا شك في ان الأنوار تأتينا من العلاء ، والكلام ينبع من القلب . كما ان العقل يكشف عن الحقيقة ، والحقيقة تنبثق من الفضيلة .

فأنا خطيبة هذا الرجل،وبه يربطني وثاق الزواج المقدّس. أجل يا مولاي الكريم، في مساء الاربعاء الماضي عرفني في بيته كزوجة. وإذا بحت بالحقيقة فلأتملص من هذه الورطة الغامضة سليمةً ، وإلا فلأثبت هنا إلى الأبد جامدة كتمثال من الملح .

(تنهض)

انجلو — لقد ابتسمت حتى الآن.ولكن، امنحني يا مولاي الكريم، ملء السلطة لأفرض العـدل بعد ان كاد يفقد هيبته ، وآنا أرى ان هؤلاء المهووسين أداة متآمر لئيم يدفعهم بدهاء إلى النيل مني . اسمح لي ، يا مولاي ، بـــأن ألقي الضوء على هذه الدسيسة .

الدوق — من كل قلبي امنحك هـذه السلطة ، وأطلب منك ان تنزل بالجاني كل ما يستحقه من عقاب صارم.هناك راهب سخيف وامرأة جاحدة شاركا في هـذه المؤامرة الحقيرة . أتظن ان قسمك اليمين عندما تستنجد بجميع القديسين يشكل شهادة على عدم الاستحقاق وخيانة الأمانة الممهورة بخاتم التجربة. وأنت أيها السيد اسكالوس، إجلس بقرب نسيبي، وساعده

بمشورتك على الكشف عن الدسائس الماكرة . هناك راهب آخر قد دفعهم وشجّعهم. فاذهبوا وابحثوا عنه وجيئوني به.

الأخ بطرس – كم أتمنى ان يكون هنا ، يا مولاي ، لأنه هو الذي في الحقيقة دفـــع هؤلاء النسوة إلى التشكي هكذا . وضابط الشرطة يعرف مقرّ الراهب المذكور وهو قادر على احضاره .

الدوق – (لضابط الشرطة) هيا استعجل وائتني به (يخرج الضابط) وأنت يا نسيبي النبيل ، البعيد عن كل نقـد وشبهة ، انت الذي يهمك أمر متابعة هذه القضية، ردّ هذا التهجّـم عليك بالعقـــاب المتوجّـب . سأتركك بعض الوقت . لكن لا تتحرك قبل ان تكمل تحقيقك في الاتهامات الواردة .

اسكالوس – سأقوم بذلك يا مولاي بكل دقة (يخرج الدوق) يا سيد لوسيو ، ألم تقل انك تعرف الأخ لودفيك وانه رجل غير شريف .

لوسيو – يقال ان الثوب لا يصنع الراهب لكن صاحبنا هـذا رداؤه أشرف منه . ثم انه نسب كل قباحته إلى الدوق .

اسكالوس – ارجو منك ان تظل هنا حتى يأتي هـــذا الراهب فتدلي بشهادتك عليه ، وستجد أنه حقاً إنسان غريب الأطوار .

لوسيو – أؤكد لك انه غير موجود في فينّـا .

اسكالوس — (لأحد الحراس) ارجع ايزابيل إلى هنا (لأنجلو) لأني اريد ان اكلمها.اسمح لي يا مولاي ان اطرح عليها بعض الأسئلة وسترى كيف سأحصرها عن كثب .

لوسيو — (يشير إلى انجلو) لا عن كثب ، ولا عن بعد ، إذا صدّقنا ما تنقله إلينا من كلام .

اسكالوس — (للوسيو) ماذا تقول ؟

لوسيو — بذمتي ، يا سيدي ، أنا اخشى ، ان انت حصرتها عن كثب بنوع خاص ، ان تستسلم قبل الأوان ، ان لم تستحي أمام الجمهور .

تدخل ايزابيل يحرسها بعض رجال الشرطة
ثم يدخل الدوق بثياب راهب مع ضابط الشرطة.

اسكالوس — سأباشر التحقيق معها بنعومة .

لوسيو — هذه هي الوسيلة الفعالة ، لأن النساء يصبحن خفيفات حول منتصف الليل .

اسكالوس — (لايزابيل،وهو يشير إلى مريان) تقدمي يا آنستي ، هذه السيدة تدحض كل أقوالك .

لوسيو — ها هوذا الغبي الذي حدثتك عنه يا مولاي . وهو قادم مع

ضابط الشرطة .

اسكالوس – وقد وصل في الوقت المناسب . لا تخاطبه قبل أن اناديك .

لوسيو – سكوت .

اسكالوس – (للدوق) اقترب يا سيدي . هل أنت دفعت هؤلاء النساء إلى حياكة هـــذه الدسيسة حول شخص السيد انجلو ؟ لقد اعترفْنَ بذلك .

الدوق – هذا خطأ .

اسكالوس – كيف تعلن ذلك ؟ هل تعرف أين انت ؟

الدوق - احترام هيئة محكمتكم العليـــا واجب ، كما يجوز إكرام الشيطان احياناً وهو جالس على عرشه الملتهب.أين الدوق؟ فهو الذي كان يريد الاستماع إليَّ .

اسكالوس – أنا امثّـل الدوق وأودّ ان اصغي إليك . فاجتهد ان تتـكلم بصدق وأمانة .

الدوق – بشجاعة على الأقل . يا لك من مخلوق حقير . هـل تأتي إلى هنـــا لتدافع عن الخروف أم الذئب ؟ الوداع . لا تنسَ التعويض . لقد ذهب الدوق وضاعت حقوقك . لم ينصف الدوق في إحالة طلبك الحق ، وفي ربط دعواك بقرار هذا

المنافق الدجّـال الذي جئت تشكوه إلينا .

لوسيو – هذا هو المحتال الذي كلمتك عنه .

اسكالوس – من هو هذا الراهب غير المحترم ، ناكر الجميل ؟ ألا يكفيك أن تكون قـد أفسحت لهؤلاء النساء سبل الفسق والدعارة حتى تتهم هذا الرجل الفاضل ؟ هـل تتجاسر أيضاً على أن تهمس في اذنه رأيك السخيف مع اسم هذا اللص الدجّـال ، ثم ان تهاجم الدوق نفسه وان تتهمه بالظلم والاستبداد ؟ جيئوني به. ارفعوا هذا الرجل إلى المنصة كي احطم عظامه أنا مطلع على تفاصيل هذه المؤامرة. كيف تدّعي ان الدوق غير عادل .

الدوق – لا تحتدّ هكذا ، يا صاح ، فالدوق لا يقوى على مسّ شعرة من رأسي ولا يجسر على تعذيب أحـد من ذويه . أنا لست من رعاياه ولا من مقاطعته . وعلاقتي بهذه المنطقة أتاحت لي العيش فيفينّـا كمراقب يقظ. ولقد رأيت الفساد متفشياً ومعشعشاً حتى في أعلى المراتب. هناك قوانين لكل الذنوب إنمـا الجرائم التي يشملها التغاضي هي أكثر عدداً من أقسى القوانين التي تحمي في أرقى المجالس اسخف الأفكار ، وهي

لا تستحق سوى السخرية والازدراء .

اسكالوس – أرى أنه سلّط لسانه النمام حتى على الحكم والحكام ؟ خذوه الى السجن .

انجلو – أي مأخذ لك عليه أيها السيد لوسيو ؟ هل هو الرجل الذي أشرت إليه ؟

لوسيو – أجل يا مولاي هو بالذات . تعال إلى هنا ، أيها الرجل الأصلع . هل عرفتني ؟

الدوق – نعم عرفتك من نبرة صوتك ، وقد شاهدتك في السجن أثناء غياب الدوق .

لوسيو – حقاً ، ولا بدّ من ان تتذكر ما قلته عن الدوق .

الدوق – بدون شك ، يا سيدي .

لوسيو – حسناً ، وهل تصر على قولك ان الدوق ماجن ومهووس وجبان ، كما ادعيت ؟

الدوق – حتماً ، أنت تستبدل الأدوار أمامي ، إذ تنسب اقوالك إليّ ، لأنك انت الذي اغدقت عليه كل هذه النعوت وحقرته اكثر ما امكنك ايضاً .

لوسيو – تبّاً لك من منافق محتال . أولم أشدّ لك اذنك لأنك ألصقت

به هذه الصفات ؟

الدوق – اذا احتجّ ، لأني أحب الدوق كنفسي .

انجلو – هل تنوي اعتبار القضية منتهية كما فعل الآن هذا الشقي بعد كل ما تلفظ به من الإهانات البذيئة ؟

اسكالوس – لا داعي للمناقشة حول شخصي هكذا. اطرحوه في السجن. أين ضابط الشرطة ؟ خذه من امامي وشدّد عليه الحراسة. لا اريد ان اسمع ذكره بعد الآن. خذوا ايضاً هذا الغبي مع شركائه في الجرم .

(يضع الضابط يده على الدوق)

الدوق – إليك عني ، يا سيّد ، إليك عني .

انجلو – ما هذا؟ هل تقاوم؟ كبّلوه حالاً بالحديد. ساعدهم يا لوسيو .

لوسيو – هيا ، يا سيد ، هيا . كيف تتصرف هكذا أيها الأصلع المحتال ، ايها الشقي الكذاب . لا بدّ من تقييدك بالسلاسل وزجك في غياهب السجن . أرني وجهك المشؤوم أيها المفتري المنافق . وليقضِ عليك الطاعون . ارى ان لك أنياب ذئب جائع ، يا وجه النحس ، ولا بد من التخلص

من نجاستك . سترى ما سيؤول اليه مصيرك ايها الشقي .
(ينتزع عنه قبعة الراهب فيظهر الدوق على حقيقته) .

الدوق — انت اول دجال تصرفت كأنك دوق. اولاً ياضابط الشرطة أمّن لي سلامة هؤلاء الأشخاص النبلاء الثلاثة .

(يشير إلى الأخ بطرس والى ازابيل ومريان . للوسيو الذي يحاول الفرار) .

لا تهرب يا هذا، إذ بينك وبين الراهب نقاش طويل وحساب عسير . أوقفوه حالا .

لوسيو — هذا قد يؤدي بي إلى ما هو أفظع من المشنقة .

الدوق — **(لاسكالوس)** : انا اسامحك عما قلته ، فاجلس .
(يشير الى انجلو) سأستعير محله **(لانجلو)** عن اذنك ايها السيد

(يجلس مكان انجلو) هل لديك بعد الآن كلام او حيلة او وشاية لم تلجأ اليها ؟ في هذه الحالة، ابرزها قبل ان تسمع ما ساعرضه ، ويفوت الأوان .

انجلو — آه يا مولاي القادر ، ساضيف جرماً جديداً إلى جرائمي ، اذا ظللت ادعي البراءة ، حين الاحظ ان سعادتك مثل عين إلهية قد راقبت بدقة وسهر كل افعالي واقوالي · لذلك لا

تؤخر حكمك علي يا مولاي . اتوسل اليك ان تعجل في اصداره لأني اعترف بذنوبي . فالحكم علي فوراً والموت العاجل هو كل ما ألتمسه منك كنعمة تريحني من عذاب ضميري .

الدوق – اقتربي يا مريان (لانجلو) هل كنت في يوم من الأيام خطيب هذه المرأة ؟

انجلو – نعم ، يا مولاي .

الدوق – انسحب معها وتزوجها بدون ابطاء (للأخ بطرس) ارجو منك يا ابتِ ان تعقد قرانهما عاجلاً وبعد ان تنتهي من مراسم الاحتفال، ان ترجعوا الى هنا. رافقهم ايها الضابط.

(يخرج انجلو ومريان والأخ بطرس وضابط الشرطة)

اسكالوس – انا متعجب، يامولاي ، من سفالته اكثر من افتضاح امره الآن.

الدوق – اقتربي يا ازابيل . ان من لجأت اليه في شدتك اضحى الآن اميرك ، والرجل الذي كان غيوراً على مصلحتك لم تغيّر

الثياب عواطفه نحوك . سأظل ادافع عنك واحميك مـــا دمت حيّاً .

ايزابيل — سامحني ، يا مولاي ، لأني أسأت الأمانة بحق سعادتك عندما كنت متنكراً.

الدوق — لقد سامحتك يا ايزابيل . والآن سامحني أنت أيضاً، يا ابنتي، من أساء اليك . أنا أعلم أن موت أخيك يمزق قلبك ، ولابد من أن تتساءلي لمـــاذا بقيت متنكراً أنا الذي سعيت إلى إنقاذ حياته ؟ ولماذا لم أظهر بغتةً حقيقة شخصيتي بدلا من أن أعرضه هكذا للهلاك ؟ يا بنيتي الكريمـة ، ان الإسراع في إعدامه الذي كنت أظنه متأخراً قد شلّ تنفيذ مشروعي. لكن شقيقك الآن في أمان . والحياة التي لم يعـــد الموت يهددها هي أحلى وأفضل من التي قضاها مؤخراً في الخوف والقلق . فابتهجي لأن أخاك ينعم الآن بالأمان والسلام .

ايزابيل — الف شكر لك يا مولاي .

(يدخل انجلو ومريان والأخ بطـ س وضابط الشرطة) .

الدوق – أما هذا العريس الجديد الذي يقترب منـــا والذي أساء ، بانسياقه وراء أهوائه الذميمة إلى شرفك رغم تمسكك به ، فعليك أن تغفري له ذنوبه إكراماً لمريان . وبما أنه حكم على أخيك ، هو المجرم مرّتين لأنه عبث بوظيفته وواجبه ، وحنث بالعهد الذي قطعه على نفسه بأن ينقذ شقيقك ، فان عدل القانون ذاته يصرخ بالحاح على لسان الجاني نفسه : يجب إبدال كلوديو بانجلو لينال هذا الأخير ما دبره ظلمـاً للمحكوم عليه ، أي موتاً بموت ، ولنقابل العجلة بعجلة مثلها ، والمهلة بمهلة نظيرها ، والعدالة بعدالة ذاتها ،فيكون قد تساوى كيل بكيل يوازيـــه . إذاً يا أنجلو ، بما أن جريمتك ظهرت بعدما أخفيتها ، ولن يفيدك الإنكار بعد الآن ، لذا أحكم عليك بقطع رأسك على جذع الشجرة الذي أعددته لقتل كلوديو ، وليتمّ التنفيذ فوراً . خذوه .

مريان : يا مولاي الكريم ، ألتمس منك أن لا تجعل من زوجي مهزلة.

الدوق - زوجك هو الذي جعل نفسه مهزلة . فلصيانة كرامتك اعتبرت زواجك ضرورياً ، وإلا تكون معرفتـــه اياك

جريمة تلطخ سمعتك وتقضي على مستقبل هنائـــك . أما أرزاقه ، وإن يكن من حقي أن أصادرها ، فانا أتنـازل لك عنها جميعها كميراث لكي تحصلي بواسطتهـــا على زوج افضل منه .

مريان : مولاي العزيز ، أنا لا أريد غيره ولا أفضل عليه رجلاً آخر .

الدوق : لا تلحـّي في التماس العفو عنه ، فان قراري مبرم كي أجعله عبرة لمن يعتبر .

مريان : (تركع) : مولاي العطوف ...

الدوق – لا تضيعي جهودك . انزلوا عقوبة الإعدام بهـذا الخسيس (للوسيو) والآن جاء دورك ، يا حقير .

مريان : مولاي الكريم ، ويا عزيزتي ايزابيل ، إصفحا عنـه . ها أنا أجثو على ركبتيّ متوسلة ، وساكون في خدمتكم ما حييت وأظل لكم جميعاً شاكرة فضلكم .

الدوق – التماسك مخالف لكل منطق ، فإن تساهلت وسامحت المجرم من قبيل الشفقة فإن شبح أخيـــك ، من مثواه الأخير ، سينتقم منه ويقتلعه من هذه الأرض بعنف لم يسبق له مثيل.

مريان : يا ايزابيل ، يا عزيزتي ايزابيل ، اركعي بجانبي ، وارفعي

يديك إلى العلاء بدون أن تنبسي ببنت شفـة واصغي إلى توسلي : يقـال ان أفضل الرجال مجبولون بالعيـوب ، وفي أغلب الأحيان ، بعد أن يعتريهم بعض الضعف ينصرفون إلى إصلاح ذواتهم والتكفير عن زلاتهم . وأعتقد ان هذا هو حال زوجي أيضاً . فيـا ازابيـل ، أرجو منك أن تساعديني وتركعي إلى جانبي ، ومعي تلتمسي العفو عنه.

الدوق – يجب أن يموت ، كما حكم بالموت على كلوديو .

ازابيل – (تركع) مولاي الكريم ، ما أروع العفو عند المقـدرة ، ألتمس منك أن تصفح عن المحكوم ، ما دام أخي لا يزال على قيد الحياة . أعتقد أن الأمانة ظلت من صفاته في الحكم إلى أن شاهدني . لذلك أرجو أن لا تـدعه يموت . فإن شقيقي قد نال نصيبه من العقاب لأنه ارتكب جرماً استحق عليه حكم الإعدام . أما من ناحية انجلو فإن الإجراء لم يتبع سوء نيته ، لذلك لا بد من دفن هذه الكبوة في طيات النسيان نظير الرغبة الجامحة التي انهارت أثناء مسيرتها إلى السيطرة. فالأفكار لا تخضع للمحاكمة ، والنيات ليست سوى أفكار .

مريان : كل ذلك لم يتعد ، طور الأهواء ، يا مولاي .

الدوق — رجاؤك غير مقبول . لذا أسالك أن تكفّي عن الالحاح . الآن أتذكر مخالفة أخرى أيها الضابط ، كيف جرى قطع رأس كلوديو في ساعة غير مالوفة ؟

ضابط الشرطة — بناء على أمر مستعجل .

الدوق — هل استلمت مذكرة خاصة لتنفيذ الحكم؟

ضابط الشرطة — لا ، يا مولاي الكريم ، بل طلباً شفهياً بلسان رسول خاص.

الدوق — لذلك أقيلك من وظيفتك . سلمني مفاتيحك .

ضابط الشرطة — سامحني يا مولاي النبيل . أعترف بان ذلك كان خطأ مني ، ولم أكن على ثقة تامة من صواب تصرفي . مع ذلك ندمت بعد التفكير ملياً . والبرهان هو وجود رجل في السجن كان عليه أن يموت بموجب الأمر الخاص وتركته يعيش إلى الآن .

الدوق — من هو ؟

ضابط الشرطة — اسمه برنردان.

الدوق — لماذا لم تتمهل هكذا في إعدام كلوديو ؟ هيا اذهب واحضر لي هذا السجين لأراه .

(يخرج ضابط الشرطة)

اسكالوس — (لأنجلو) آسف أن يكون رجل مثلك ، يا انجلو ، مستنيراً بالعلم ومتبصراً في العواقب ، قد وقع في مثل هذا الانحراف وانجرف وراء أهوائه منساقاً أمام ظلم كهـــذا في إصدار أحكامه الجائرة .

انجلو — أنا نادم على ارتكابي هذه الأخطاء الجسيمـة ، وقـد انسحق قلبي لأني جلبت على نفسي النقمة بدل النعمة . ومع اني أستحق العقاب ، أطلب منك الصفح والغفران .

يدخل ضابط الشرطة ومعه برنردان ، ثم كلوديو وقد لف رأسه بمعطف ، ثم تدخل جولييت .

الدوق — من منهما برنردان ؟

ضابط الشرطة — هذا يا مولاي .

الدوق — هناك راهب قد تكلم عن هذا الرجل يا صديقي . يقال ان ذهنك متحجر ، وانك لا تفهم شيئاً خارجاً عن أمور هذه الدنيا ، وانك مستمرّ في حيـاتك على هذا النمط . أنت في الآخرة لا محـالة هالك . أما قصاصك على هـذه الأرض فأنا أعفيك منه بكامله . فاستفد إذاً من هذه الفرصة لكي تهيء لنفسك مستقبلاً أفضل . زوّده بالنصح يا أبتِ ، فأنا أتركه

بين يديك . والآن من هو هذا الفتى الملفوف الرأس ؟

ضابط الشرطة – هذا سجين آخر أنقذته وكان عليه أيضاً أن يموت مقطوع الرأس في نفس الوقت مع كلوديو . وهو يشبه هذا الأخير حتى أنه يبدو لكأنه هو ذاته .

(يكشف وجه كلوديو)

الدوق (لايزابيل) – هذا شقيقك على ما يبدو ، فإكراماً لمودتك أعفو عنه . وإكراماً لي أيتها الحسناء ، اسمحي لي بيدك، وقولي لي انك ترضين بأن تكوني لي زوجة، فيصبح هـــذا أخي أيضاً (يشير الى كلوديو) وكل ذلك يتسنى تفسيره في الوقت المناسب . أما الآن فالسيد انجلو يعلم أنه قد نجـا ، ويخيّـل إليّ انني أرى بريقاً في عينيـه . ها أنت ، يا انجلو ، تحصد خيراً من الشرّ الذي زرعته ، فعليك أن تحب زوجتك ، لأنها لا تقل عنك مكانـة . وأنا أشعر في نفسي استعـداداً لمسامحتك . مع ذلك يوجـد شخص هنـا لا يستحق العفو . (للوسيو) أنت يا هـذا ، تظنني رجلاً فاسداً جباناً فاسقـاً حمـاراً غبيـاً ، لكني لا أدري لمـاذا تتكرّم عليّ بكل هذه الألقاب البليغة .

لوسيو – يا مولاي ، كنت أمزح كما هو الزي الرائج في هذه الأيام . فإن شئت أن تحاسبني على كلامي هذا ، فأنت قادر أيضاً على مسامحتي . إنما أفضّل أن تامر على الأقل بجَلدي لأني أستحقه .

الدوق – أجل ستجلد بالسوط أولاً ، ثم يعلّق في عنقك حبل المشنقة. يا ضابط الشرطة أذعْ في كل أنحاء المدينة ان هناك امرأة ظلمها هذا المستهتر ، لأنني سمعته يقسم بأله جعل إحدى الفتيات اماً ، فما عليها إلا ان تتقدم لكي يتزوجها ، وحالما ينتهي العرس يجلد ثم يشنق .

لوسيو – أستحلفك يا صاحب السعادة ، أن لا تزوجني عاهرة . لقد قلت سيادتك الآن أنك ستجعل منها زوجتي، فأرجو منك يا مولاي أن لا تكافئني بأن تجعل مني زوجاً مخدوعاً .

الدوق – أقسم لك بأنك ستتزوجها . وهذا هو شرطي لأعفو عن طيشك ونميمتك وعن الاهانات التي وجهتها إليّ . خذوه إلى السجن ونفذوا مشيئتي فوراً .

لوسيو – تريدني أن أتزوج غبية يا مولاي ، فكأنك تحكم عليّ بالجلد وبالموت شنقاً كل يوم من أيام حياتي .

الدوق – هذا جزاء النميمةوتحقير الأمير (يشير الى جولييت و كلوديو) فكر يا كلوديو بأن تعوض على من سببت لهـــا الاذى . ابتهجي يا مريان ، وانت يا انجلو ، اخلص لها الحب، فانا أعرفهـا جيداً واقدّر فضائلهـــا . شكراً لك يا صديقي اسكالوس على طيبـة قلبك . فالمستقبـل يخبىء لك مكافأة ثمينة تستحقهـا . وشكراً لك يا ضابط الشرطة على غيرتك وعلى كتمانك سرّي . سارقيك إلى منصب اعلى . سامحـــه يا انجلو على تقديمه لك رأس راكوزان بدلاً من رأس كلوديو ، فهذه غلطة تستحق الصفح . وأنت يا ايزابيل العزيزة لديّ عرض أقدمه لك لتحقيق سعادتك ، اللهمّ إذا اصغيت إليّ ورضيت به ويختصر بأن كل ما هو لي سيكون لك ايضاً ، وكل ما هو لك سيصبح ملكي الخاص . وعلى هذا الاساس أرجو أن تسيروا بنا إلى قصري حيث أكشف لكم عما بقي من المشاكل التي ارى من الضروري ان اطلعكم عليها .

(يخرجون)

توزيع دار الجيل